دراسةٌ نحويَّةٌ دلاليَّةٌ لألفاظ القرآن الكريم لفظة وراء نموذجاً

إعداد الدُّكتور

عزَّت توفيق مصطفى الجرينلي

أستاذ النَّحو والصَّرف والعَروض المساعد

في قسم اللُّغة العربيَّة

كليَّة الآداب - جامعة الفيوم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ المُرسلين، سيِّدنا مُحمَّدٍ وعلى آله وأصحابهِ ومَن سارَ على نهجهِ واتَّبعَ سُنَّته إلى يومِ الدِّينِ. أمَّا بعد:

فهذه دراسةٌ عنوانُها " دراسةٌ نحويَّةٌ دلاليَّةٌ لألفاظ القرآن الكريم لفظة وراء نموذجاً".

وقد صيغ العنوانُ انطلاقاً من المُشكلةِ الَّتي يُعالجُها البحثُ، وهي مواقفُ النُّحاةِ والمُفسِّرين ومُعربي القرآنِ مِن الاستعمال الدَّلالي للظَّرف " وراء " في السِّياقاتِ القُرآنيَّةِ المُختلفةِ، وما يتَّصلُ بمواقفهم من اختلافِ مدارسهم النَّحويَّةِ والتَّفسيريَّةِ وانتماءاتهم الفكريَّةِ، كانَ لها تأثيرٌ في هذه المواقفِ.

وقد اختيرت هذه المُشكلةُ للدِّراسةِ في ضوءِ دافعين مُهمَّين:

الأوَّلُ: الاستعمالُ الدَّلالي للظَّرفِ – بصورةٍ عامَّةٍ – وللظَّرفِ " وراء " – بصورةٍ خاصَّةٍ – من المجالاتِ الواسعةِ لعملِ النُّحاةِ واللُّغويين والمُفسِّرين، ومن ثَمَّ تظهرُ فيه بوضوحٍ اختلافاتُهم واتِّفاقاتُهم، كما تظهرُ أدواتُهم وانتماءاتُهم الفكريَّةُ مِن خلالِ جوانبِ الاتِّفاقِ والاختلافِ.

الثَّاني: تواترُ تراكيب قُرآنيَّة استُعمِلَ فيها الظَّرفُ " وراء " بدلالاتٍ مُختلفةٍ ذوات تركيب أسلوبي خاص مثل: قولهِ تعالى: [وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] {البقرة:١٠١}، و[وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ] {آل عمران:١٨٧}، و [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ] {النساء:٢٤}، و [وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ] {٩٤:٠}، و [فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ] {المؤمنون:٧}، و(المعارج ٣١) [وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

وَقُلُوبِهِنَّ] {الأحزاب:٥٣}، و [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ] {الشُّورى:٥١}، و [إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] {الحجرات:٤}، [لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ] {الحشر:١٤}، و [وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ] {الانشقاق:١٠} ظَهْرِهِ]، و [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] {هود:٩٢}، و [يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا] {الحديد:١٣}، و [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ] {النساء:١٠٢}، و [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ] {البقرة:٩١}، و [أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا] {الكهف:٧٩}، و[إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] {الإنسان:٢٧}، و [مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ] {إبراهيم:١٦}، و [يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ] {إبراهيم:١٧}، و[وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] {المؤمنون:١٠٠}، [وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ] {البروج:٢٠}، و [وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ] {هود:٧١}.

وعلى هذا تتحدَّدُ أهدافُ البحثِ في الآتي:

١ – الكشف عن الاستعمال الدَّلالي للظَّرفِ " وراء " في المعاجم اللُّغويَّة المُختلفة.

٢ – الكشف عن الاستعمال القُرآني الدَّلالي للظَّرف " وراء " بدلالاته المُختلفة.

٣ – تحديد موقف النُّحاةِ العلمي من الاستعمالين الدَّلاليين، والكشف من خلالِ ذلك عن وجوه الاتِّفاقِ والاختلافِ بينها، والأسباب الكامنة وراء هذا الاختلاف.

٤ – بيان دور السِّياق القرآني في تحديد دلالة " وراء " في التَّراكيب القرآنية المُختلفة.

وقد اتَّبعت الدِّراسةُ مجموعة من الخطوات الإجرائيَّة ومنهجاً، للوصولِ إلى أهدافها، وذلك على النَّحو الآتي:

أولاً: البحث عن دلالات " وراء " في اللُّغة والمعاجم.

ثانيا: دراسة وراء في التَّأصيل الصَّرفي.

ثالثاً: دراسة وراء في التَّأصيل النَّحوي.

رابعا: تحديد المقصود بالظَّرف عند النُّحاة.

خامساً: بيان المقصود بالمصطلحات: (اسم الزَّمان – اسم المكان – المُبهم – المُختص). سادسا: ما يُنصب على الظَّرفيَّة من أسماءِ الزَّمان والمكانِ.

سابعاً: اختيار نماذج من السُّور القُرآنيَّة للتَّطبيق. وذلك بناءً على:

أ – تواتر الظَّرف " وراء " بدلالاته المُختلفة بكثرة، وهذا واضحٌ من الجدول الإحصائي الملحق بالدِّراسة.

ب – تواتر التَّراكيب ذات الأبنية اللُّغويَّة الخاصَّة بالظَّرفِ " وراء " وهي تراكيب تتراوح بين الخبرِ والإنشاءِ.

ج – بيان موقف النَّحويين والمُفسِّرين ومُعربي القرآنِ من دلالة الظَّرف " وراء " في النَّماذج القُرآنيَّةِ المُختارةِ، وما اتَّفقوا فيه أو اختلفوا.

د – التَّرجيح بينَ النُّحاةِ والمُفسِّرين ومُعربي القرآنِ حالِ الاختلافِ بينهم.

وقد اتَّبعت الدِّراسةُ هذه الإجراءاتِ في إطار منهجٍ وصفيٍّ دلاليٍّ ؛ لأنَّهُ يصفُ مواقفَ النُّحاةِ والمُفسِّرين ومُعربي القرآنِ، كما يصفُ التَّركيبَ القُرآنيَّ من خلالِ تحليلاتهم له، ويبيِّنُ أثرَ ذلك في تحديد دلالة " وراء ".

ثامناً: ونظراً لأنَّ الموضوعَ يتَّسمُ بالتَّداخلِ بينَ عملِ النُّحاةِ وعملِ المُفسِّرين، فقد استعانت الدِّراسةُ بمصادر تتَّسمُ بهذا التَّداخلِ توخِّياً للدِّقةِ العلميَّةِ، ولهذا مثلت مصادر إعراب القرآنِ، ومعانيه، ومشكلهِ، المصادر الرَّئيسةِ الَّتي استقت منها الدِّراسةُ مواقفَ النُّحاةِ، ووظَّفت المصادر التَّفسيريَّةَ لبيان الدَّلالات الَّتي رآها النُّحاةُ والمفسِّرون، أو للتَّرجيحِ بينهم ؛ لذلك تأتي آراءُ المُفسِّرين متداخلة مع آراءِ النُّحاةِ.

وقد جاءت الدِّراسةُ مُقسَّمة إلى مُقدِّمة توضِّحُ موضوعَ البحثِ، وأهدافَه، ومُشكلتَه، ومنهجَه، وخطَّتَه، والدِّراساتِ السَّابقةَ فيهِ.

ثُمَّ تمهيد تحدَّثتُ فيه عن: وراء في اللُّغةِ والمعاجم. ثُمَّ فصلين: نظريين، وفصلٍ ثالثٍ تطبيقيٍّ.

الفصل الأوَّل: بعنوان: وراء في التَّأصيل الصَّرفي. وفي هذا الفصل تحدَّثتُ عن المباحث الآتية:

أ – همزة وراء عند البصريين وعند الكوفيين.

ب – وراء من حيث التَّذكير والتَّأنيث.

ج – تصغير وراء.

الفصل الثَّاني: بعنوان: وراء في التَّأصيل النَّحوي. وفي هذا الفصل تحدَّثتُ عن المباحث الآتية:

أ – تعريف الظَّرف عند النُّحاة.

ب – المقصود بـ (اسم الزَّمان – اسم المكان – المُبهم – المُختصُّ).

ج – صفات ما يُنصب على الظَّرفيَّةِ من أسماء الزَّمانِ والمكان.

الفصل الثَّالث: ويشمل الجانب التَّطبيقي. وهو بعنوان:

– وراء في القُرآن الكريم وموقف النُّحاةِ والمُفسِّرين ومُعربي القرآن منها.

وقد جاء في عدَّة مباحث على النَّحو التَّالي:

المبحث الأوَّل: وراء بمعنى النَّبذ والطَّرح والتَّرك والرَّفض والإعراض.

المبحث الثَّاني: وراء بمعنى سوى أو دون أو غير أو ما عدا.

المبحث الثَّالث: وراء بمعنى خلف.

المبحث الرَّابع: وراء بمعنى بعد وخلف.

المبحث الخامس: وراء بمعنى النِّسيان والإعراض والتَّرك.

المبحث السَّادس: وراء بمعنى قُدَّام وأمام.

المبحث السَّابع: وراء بمعنى قُدَّام وخلف.

المبحث الثَّامن: وراء بمعنى الإحاطة والقُدرة والسَّيطرة.

المبحث التَّاسع: وراء بمعنى العودة للخلف في الزَّمانِ والمكانِ.

هذا وهدفي في النِّهايةِ أن أرفدَ المكتبةَ الإسلاميَّةَ بهذهِ الدِّراسة عسى أن يكونَ بها إسهامٌ في نشرِ علومِ الدِّينِ الإسلاميِّ الحنيفِ، وعملاً بقولِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " بلِّغوا عنِّي ولو آية"، وقوله: " إذا مات ابنُ آدمَ انقطعَ عمله إلاَّ من ثلاثٍ... " وعدَّ منها " علم يُنتفعُ بهِ ".

جزى اللهُ خيراً مَن نظرَ في بحثي هذا فدلَّني على ثغرة خفيت عليَّ، أو رأى فيما قلت غير الَّذي رأيت فأهداه إليَّ.

اللهم اجعلنا من عبادك الَّذين يُبلِّغون رسالاتك ولا يخشون أحداً سواك. وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

تمهيد
وراء في اللُغة والمعاجم

تبحثُ معاجمُ اللُّغةِ كلمة (وراء) تحت مادَّةِ (وري) الَّتي تعني السَّـــترَ والخفـــاءَ. وباستقصاء المعاجم اللُّغويَّة تبيَّنَ لي أنَّها تُستخدم بالمعاني الآتية:

١ – بمعنى ولد الولد.

٢ – بمعنى قُدَّام.

٣ – بمعنى خلف.

٤ – بمعنى بعد.

٥ – بمعنى الضَّخم الغليظ الألواح.

٦ – بمعنى تأخَّر.

٧ – بمعنى بين يديه.

٨ – بمعنى سوى أو أكثر.

٩ – بمعنى التَّرك والخلف والإعراض.

وقد رجعتُ في هذا الشَّأنِ إلى مجموعة من المعاجم اللُّغويَّة على النَّحو التَّالي:

(١) العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي: (ت ١٧٤ هـــ).

(٢) تهذيب اللُّغة: للأزهري (ت ٣٧٠ هـــ).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس: لمرتضى الزَّبيدي (٣٧٩ هـــ).

(٤) تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: للجوهري (٣٩٣ هـــ).

(٥) مقاييس اللُّغة: لابن فارس (٣٩٥ هـــ).

(٦) المفردات في غريب القرآن: للرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢ هـــ).

(٧) مُختار الصَّحاح: للرَّازي (ت ٦٦٦ هـــ).

(٨) لسان العرب: لابن منظور (٧١١ هـــ).

(٩) المصباح المنير: للفيومي (٧٧٠ هـــ)

(١٠) بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزأبادي (٨١٨ هـ).

(١١) القاموس المحيط: للفيروزأبادي (٨١٨ هـ).

وسوف أعرض لهذه الدَّلالات بشيءٍ من التَّفصيل:

(١) وراء: بمعنى ولد الولد:

ورد هذا المعنى عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه (العين) حيثُ قالَ: " الوراءُ ممدودٌ: وَلَدُ الولدِ لقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ [... وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ] {هود:٧١} وسأل الشَّعبيُّ رجلاً معهُ صبيًّاً هذا ابنُكَ قالَ: نعم من وراء "١. وقد ورد هذا المعنى أيضاً عند الأزهريِّ في (تهذيبه)، والزَّبيدي في (تاجهِ)، وابن فارس في (مقاييسه) والرَّاغب في (مفرداتهِ)، وابن منظور في (لسانه) ٢ حيثُ قالَ: " الوراءُ: ابنُ الابنِ ". وعد ابن الأنباري في (أضداده) إذ قالَ: " والوراءُ ولدُ الولدِ، قالَ حيَّان بن أبجر: كُنْتُ عند ابنِ عبَّاس، فجاءهُ رجلٌ من هُذيل، فقالَ لهُ: ما فعلَ فُلانٌ ؟ لرجلٍ منهم، فقالَ: ماتَ وتركَ كذا وكذا من الولدِ، وثلاثةً مِنَ الوراءِ ؛ يُريدُ من ولدِ الولدِ. وحكى الفرَّاءُ عن بعضِ المشيخةِ، قالَ: أقبلَ الشَّعبيُّ ومعه ابن ابنٍ لَهُ، فقيلَ له: أهذا ابنُكَ ؟ فقال: هذا ابني من الوراءِ، يُريدُ من ولد الولد. وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: [وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ] {هود:٧١}. " ٣ (٢) وراء: بمعنى قُدَّام:

قالَ الخليلُ: " ووراء ممدودٌ خلافُ قُدَّام "٤، وكذا عند الأزهريِّ واستشهد على ذلك بقولهِ تعالى [... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا] {الكهف:٧٩} أي: أمامهم. وذكرَ الزَّبيديُّ عن ثعلب قولهِ: " الوراءُ: الخلفُ، ولكن إذا كانَ مما تمرُّ عليهِ فهو قُدَّامٌ، هكذا حكاهُ، الوراءُ بالألفِ واللامِ، ومن كلامهِ أخذَ، ...وذكر نصَّ الزَّجاجِّ، حيثُ قال: " وقالَ الزَّجاجُ: وراءُ (يكونُ

خلفَ وأمامَ) ومعناها ما توارى عنكَ أي استترَ عنكَ... وعن ابنِ السِّكِّيتِ:... قالَ أبو الهيثم: الوراءُ: ممدودٌ: الخلفُ ويكونُ الأمامَ " ٥

وهي كذلك عند ابن فارس، حيثُ قالَ: " وأمَّا قولهم وراءَكَ فإنَّهُ يكونُ من خلفٍ، ويكونُ من قُدَّامٍ. قالَ اللهُ تعالى [... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ...]أي: أمامهم " ٦

وذكرَ الرَّاغبُ ما نصُّه: " ووراء إذا قيلَ وراءُ زيدٍ كذا فإنَّهُ يُقالُ لَمن خلفَهُ نحو قولهِ... وُقالُ لَمن كانَ قُدَّامهُ نحو [... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ...] وقوله [أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ] {الحشر:١٤} فإنَّ ذلك يُقالُ في أيِّ جانبٍ من الجدارِ، فهو وراءهُ باعتبارِ الَّذي في الجانب الآخر " ٧

وذكر الفيوميُّ أنَّ وراءَ كلمةٌ مؤنَّثةٌ تكونُ خلفاً وقُدَّاماً، وقالَ: " وأكثرُ ما يكونُ ذلك في المواقيتِ من الأيَّامِ والليالي ؛ لأنَّ الوقتَ يأتي بعد مُضي الإنسانِ فيكون (وراءه) وإن أدركهُ الإنسانُ كانَ قُدامه، ويُقالُ (وراءَك بردٌ شديدٌ، وقُدامُك بردٌ شديدٌ) لأنَّهُ شيءٌ يأتي فهو وراءُ الإنسانِ على تقديرِ لحوقهِ بالإنسانِ وهو بينَ يدي الإنسانِ على تقديرِ لحوقِ الإنسانِ بهِ فلذلك جازَ الوجهانِ، واستعمالُها في الأماكنِ سائغٌ على هذا التَّأويلِ، وفي التَّنزيلِ [وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ] أي أمامهم، ومنهُ قولُ الفقهاءِ في المُصلِّي قاعداً ويركعُ بحيثُ تُحاذي جبهته ما وراءِ رُكبته ؛ أي قُدَّامها ؛ لأنَّ الرُّكبةَ تأتي ذلك المكانِ فكانت كأنَّها (وراءه) ٨.

ويرى الرَّازيُّ أنّ (وراء) من الأضدادِ، حيثُ قال: " وورَّاه توريةً أخفاهُ، وتوارى استترَ ووراء بمعنى خلف، وقد يكونُ بمعنى قُدَّام، وهو من الأضدادِ، وإذا لم تضفه، قلت: لقيته من وراء، فترفعهُ على الغايةِ، كقولك: مِن قبلُ ومِن بعدُ، وقوله تعالى [... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ...] أي أمامهم، وتقول: ورَّى الخبرَ توريةً، أي ستره وأظهره غيره، كأنَّهُ مأخوذٌ من وراءِ الإنسانِ كأنَّهُ يجعلهُ وراءه حيثُ لا يظهرُ " ٩.

ويرى الزَّجَّاجُ أنَّهُ ليسَ من الأضدادِ، حيثُ قالَ: " وراءُ يكونُ لخلفٍ وقُدَّامٍ، ومعناها: ما توارى عنك أي استترَ عنكَ، وليسَ من الأضدادِ كما زعم بعضُ أهلِ اللُّغةِ. وأمَّا أمامُ فلا يكونُ إلاَّ قُدَّام أبداً وقولهِ [... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا] قالَ ابنُ عبَّاسٍ كانَ أمامهم. قالَ لبيد:

أَلَيْسَ وَرَائي إِ نْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْها الأَصَابِعُ " ١٠

وذكر الزَّبيديُّ أنَّ الزَّجَّاجَ والآمديَّ في (الموازنة) أنكرا أن يكونَ (وراء) من الأضدادِ. ١١

وقال محمد بن القاسم الأنباري ١٢ ووراء من الأضدادِ. يُقالُ للرَّجلِ: وراءَك، أي خلفك، ووراءَك أي أمامك، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ [مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ {الجاثية:١٠}، فمعناه " من أمامهم " وقالَ تعالى [وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا] {الكهف:٧٩}، فمعناه " وكانَ أمامهم ". وقالَ الشَّاعرُ ١٣:

ليسَ عَلَى طُولِ الحَياةِ نَدَمْ وَمِنْ وَرَاءِ المَرءِ مَا يَعْلَمْ

وقالَ الآخرُ ١٤:

أَتَرْجُو بَنُو مَروانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي وَقَوْمي تميمٌ والفَلاةُ وَرائيا

أرادَ قُدَّامي. وقالَ الآخرُ١٥:

أليسَ وَرَائي إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لزومُ العَصا تُحنى عليها الأصابعُ

وقالَ الآخرٌ ١٦:

أليسَ وَرَائي أنْ أدبَّ عَلَى العَصا فيأمنَ أعدائي وَيَسْأمني أهلي.

(٣) وراء: بمعنى خلف:

أجمع أصحابُ المعاجم على أنَّ (وراء)تأتي بمعنى خلف ١٧، حيثُ قالَ الأزهريُّ عن ابن السِّكِّيت: " الوراءُ: الخلفُ " وذكر الزَّبيدي عن ثعلب: الوراءُ الخلفُ. وذكرَ الرَّاغبُ ما نصَّهُ: " ووراء إذا قيلَ وراءُ زيدٍ كذا فإنَّهُ يُقالُ لَمن خلفَهُ نحو قولهِ... وُقالُ لَمن كانَ قُدَّامهُ نحو [... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ...] وقوله [أَوْ مِنْ

وَرَاءِ جُدُرٍ] {الحشر:١٤} فإنَّ ذلك يُقالُ في أيِّ جانبٍ من الجدارِ، فهو وراءهُ باعتبارِ الَّذي في الجانب الآخر ". وهي كذلك عند الرَّازي، وابن منظور، والفيومي، والفيروز آبادي.حيثُ قالَ: "... وفي حديثِ السَّاعةِ: " يقولُ إبراهيمُ كُنْتُ خليلاً من وراءَ وراءَ " هكذا يُروى مبنياً على الفتحِ، أي من خلفِ حجابٍ " ١٨

(٤) وراء: بمعنى بعد:

أثبت لها هذا المعنى الأزهريُّ حيثُ قال:"... وقالَ الزَّجَّاجُ في قولهِ تعالى: [...وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ] {إبراهيم:١٧} أي: من بعدِ ذلك. وقالَ في قولِ النَّابغة:

..... وليسَ وراء اللهِ للمرءِ مذهبٌ. ١٩

أي: ليسَ بعد اللهِ للمرءِ مذهبٌ، يعني في تأكيدهِ التَّنصُّل مما قُرف بهِ فيذهب إليهِ. " ٢٠

وذكر لها هذا المعنى أيضاً الرَّاغبُ واستشهد على ذلك بقولهِ تعالى: [وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...] {٩٤:٠} أي: خلفتموه بعد موتكم وذلك تبكيتٌ لهم في أن لم يتوصَّلوا بما لهم إلى اكتساب ثواب اللهِ تعالى بهِ... ٢١ وهي كذلك عند الفيروزابادي حيثُ قالَ: " وقوله تعالى: [...وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...] أي خلفتموه بعد موتكم، وذلك تبكيتٌ لهم في أن لم يعملوا بموجبه. ولم يتدبَّروا آياتهِ... وقوله: [...وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ...] {البقرة:٩١} اقتضى معنى ما بعده. " ٢٢. في حين يرى الأزهريُّ أنَّها في الآية السَّابقةِ بمعنى: بما سواه، وفي قولهِ تعالى: [فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ] {المؤمنون:٧} أي: سوى ذلك. ٢٣

٥ – وراء: بمعنى الضَّخم الغليظ الألواح:

أثبت لها هذا المعنى أبو علي الفارسيُّ، ونقله الزَّبيدي حيثُ قالَ: " والوراءُ: الضَّخمُ الغليظُ الألواحِ، عن الفارسيِّ. " ٢٤ وهذا المعنى لا أرى عليه دليلاً.

٦ – وراء: بمعنى تأخَّر:

أثبت لها هذا المعنى الرَّاغبُ، والفيروز آبادي، حيثُ قالَ الرَّاغبُ: " وقولُهم: وراءَكَ: للإغراءِ، ومعناهُ تأخَّر، يُقالُ: وراءُك أوسع لك، نصب بفعل مُضمرٍ أي ائت، وقيلَ تقديرُه: يكن أوسع لك أي تنح، وائت مكاناً أوسع لك... " ٢٥

٧ – وراء: بمعنى بين يديه:

أثبت لها هذا المعنى الأزهريُّ حيثُ نقل عن الفرَّاءِ أنَّها بمعنى بين يديه، قال: "... وقالَ الفرَّاءُ: لا يجوزُ أن يُقالَ للرَّجلِ: وراءكَ ؛ وهو بين يديك، ولا لرجلٍ هو بينَ يديك: هو وراءك، إنَّما يجوزُ ذلك في المواقيتِ والأيامِ والليالي والدَّهر. تقول: وراءك بردٌ شديدٌ، وبينَ يديك بردٌ شديدٌ، لأنَّكَ أنت وراءه، فجازَ لأنَّهُ شيءٌ يأتي، فكأنَّهُ إذا لحقك صارَ من وراءِك، وكأنَّك إذا بلغته كانَ بينَ يديك، فلذلك جازَ الوجهانِ، من ذلك قولُ اللهِ تعالى [وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ] {الكهف:٧٩} أي: أمامهم. وهو كقولهِ تعالى: [مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ] {إبراهيم:١٦} أي: إنَّها بينَ يديهِ. " ٢٦

٨ – وراء: بمعنى سوى أو أكثر:

أثبت لها هذا المعنى الأزهريُّ حيثُ قالَ: "... عن ابنِ الأعرابي في قولهِ تعالى [...وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهو الحَقُّ] {البقرة:٩١} أي: بما سواه... قالَ وقوله تعالى: [فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ] {المؤمنون:٧} أي: سوى ذلك " ٢٧. وهي كذلك عند ابنُ منظور حيثُ قالَ: " وقولُه عزَّ وجلَّ [فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ] أي: سِوَى ذلك، وقولُ ساعِدةَ بن جُؤيَّة:

حَتَّى يُقالُ وَرَاءَ الدَّارِ مُنتَبِذاً قُمْ لا أبا لكَ سارَ النَّاسُ فاحْتَزِمِ ٢٨

قالَ الأصمعيُّ قالَ وراء الدَّارِ لأنَّهُ مُلقى لا يُحتاجُ إليهِ مُتَنَحٍّ مع النِّساءِ من الكِبَرِ والهَرَمِ " ٢٩

ويرى صاحبُ الفيوميُّ أنَّ وراءَ بمعنى سوى، وزاد قوله: " و " ووريْتُ الحديث تورية " سترته وأظهرتُ غيرَهُ، وقالَ أبو عبيدة لا أراهُ إلاَّ مأخوذاً من وراءِ الإنسانِ، فإذا قالَ (وريْتُهُ) فكأنَّهُ جعلَهُ وراءه حيثُ لا يظهرُ، (فالتَّورية) أن تُطلقَ لفظاً ظاهراً في معنى وتُريدُ بهِ معنىً آخرَ يتناولهُ ذلك اللفظُ لكنَّهُ خلافُ ظاهره... " ٣٠

في حين يرى الفيروزآبادي أنَّها في قولهِ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ بمعنى أكثر من، حيثُ قالَ: " وقوله [فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ]أي: أكثر مما بيَّناه وشرعناه من تَعَرُّض لمن حُرِّم التَّعرُّض له فقد تعدَّى طوره وخرقَ سِتْرَه. " ٣١

٩ – وراء: بمعنى التَّرك والخلف والإعراض:

أثبت لها هذا المعنى الفيروز آبادي حيثُ قالَ: " وقوله تعالى: [...وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...] أي خلفتموه بعد موتكم، وذلك تبكيتٌ لهم في أن لم يعملوا بموجبه. ولم يتدبَّروا آياتهِ... " ٣٢

من العرضِ السَّابقِ يتَّضحُ لنا أنَّ الاستعمالِ الدَّلالي للظَّرفِ " وراء " في المعاجم اللُّغويةِ المُختلفةِ والمتنوِّعةِ، وردَ بالمعاني الآتية:

أ – بمعنى ولد الولد.
ب – بمعنى قُدَّام.
ج – بمعنى خلف.
د – بمعنى بعد.
هـ – بمعنى تأخَّر.
و – بمعنى بين يديه.
ز – بمعنى سوى أو أكثر.
ح – بمعنى التَّرك والنَّبذ والإعراض

وأن المعنى الأصلي لها بمعنى (خلف) وبقيَّة المعاني فرعيَّة يُحدِّدُها السِّياقُ اللُّغويُّ الَّذي وردت فيهِ.

الفصل الأوّل
وراء في التّأصيل الصَّرفي

أتحدثُ في هذا الفصلِ عن المباحث الآتية:

أ – همزة وراء عند البصريين وعند الكوفيين.

ب – وراء من حيث التَّذكير والتَّأنيث.

ج – تصغير وراء.

أ – همزة وراء عند البصريين وعند الكوفيين.

يرى البصريون أنَّ همزة وراء أصليَّةٌ، ويرى الكوفيون أنَّ همزتَها مُنقلبةٌ عن ياء. قالَ الزَّبيديُّ: " ووراء مُثلَّثةُ الآخرِ مبنيَّةٌ وكذا الوراءُ معرفةٌ مهموزٌ لا مُعتلٌّ لتصريحِ سيبويه بأنَّ همزتَهُ أصليَّةٌ لا منقلبةٌ عن ياءٍ، ووَهِمَ الجوهريُّ، قالَ ابنُ برِّي: وقد ذكرها الجوهريُّ في المُعتلِّ، وجعلَ همزتَها مُنقلبةً عن ياءٍ، قالَ: وهذا مذهبُ الكوفيين، وتصغيرُها عندهم وُرَيَّةٌ، بغيرِ همزٍ. قالَ شيخُنا: والمشهورُ الَّذي صرَّحَ بهِ في العينِ ومُختصرهِ وغيرِهما أنَّهُ مُعتلٌّ، وصوَّبَهُ الصَّرفيون قاطبةً، فإذا كانَ كذلك فلا وهمَ. قلتُ: والعجبُ من المُصنِّفِ كيفَ تَبِعَهُ في المُعتلِّ، غيرَ مُنبِّهٍ عليهِ... ووراءُ في الأصلِ مصدرٌ جُعِلَ ظرفاً، ويُضافُ إلى الفاعلِ فيُرادُ بهِ ما توارى بهِ، وهو خلفٌ، وإلى المفعولِ، فيُرادُ بهِ ما يوارِيه... وعند سيبويه (تصغيرُها وُرَيِّئةٌ)والهمزةُ عندَهُ أصليَّةٌ غيرُ مُنقلبةٍ عن ياءٍ، وهو مذهبُ البصريين " ٣٣

والعُكبريِّ يرى أنَّ الهمزةَ في (وراء) أصلُها ياءٌ حيثُ قالَ: " والهمزةُ في " وراء " بدلٌ من ياءٍ لأنَّ ما فاؤه واو لا يكونُ لامه واواً. ويدلُّ عليهِ أنَّها ياءٌ في تواريْتُ لا همزة. وقالَ ابنُ جنِّي: هي عندنا همزةٌ لقولهم: وريئة بالهمزِ في التَّصغيرِ. "٣٤

ب – وراء من حيث التَّذكير والتَّأنيث.

نقل الأزهريُّ عن ابنِ السِّكِّيتِ قوله: الوراءُ: الخلفُ: ووراء، وأمام، وقُدَّام، يؤنَّثن ويُذكَّرن. ويُصغَّرُ " أمام " فيُقالُ: أُمَيِّم ذلك، وأُمَيِّمة ذلك وهو وُريء الحائطِ، ووريئة الحائطِ. ٣٥ كما نقل ذلك الزَّبيديُّ وزاد رأي اللِّحياني: الَّذي يرى أنَّ وراءَ مؤنَّثةٌ، وإن ذَكَّرتَ جاز ٣٦. في حين يرى الفيوميُّ أنَّها مؤنَّثةٌ، حيثُ قالَ: " ووراء كلمةٌ مؤنَّثةٌ تكونُ خلفاً وقُدَّاماً... " ٣٧ وتبعه الفيروزآبادي حيثُ قالَ: " ووراءُ مُثلَّثةُ الآخرِ مبنيَّةٌ، والوراءُ مهموزٌ لا مُعتلٌّ... ويؤنَّثُ. " ٣٨

وقالَ الفرَّاءُ: " والمواضعُ الَّتي يسميها النَّحويون الظُّروفَ، والصِّفات، والمحالَّ فهي ذكران، إلاَّ ما رأيت فيهِ شيئاً يدلُّ على التَّأنيثِ، إلاَّ أنَّهم يؤنِّثون أمامَ، وقُدَّامَ، ووراءَ، فيقولون: فلانٌ وريّئة الحائطِ، على وزنِ ذريّعة، فيدخلون في تحقيرها الهاءَ ؛ فذلك دليلٌ على تأنيثها... " ٣٩. وقالَ المُبرِّدُ في (المُقتضب) ما نصُّه: " فالظُّروفُ إنَّما هي هذه على الحقيقةِ، فما جاءَ منها مؤنَّثاً بغيرِ علامةٍ: قُدَّامُ، ووراء، وتصغيرُهما: قُديمة، ووريئة. فإن قلت: فما لهاتين لحقت كلَّ واحدةٍ منهما الهاءُ، وليستا من الثَّلاثةِ ؟ قِيلَ لأنَّ البابَ على التَّذكيرِ، فلو لم يلحقها الهاء لم يكن على تأنيثِ واحدٍ منهما دليلٌ. قالَ قالَ القطاميُّ:

قُدَيْديْمه التَّجريبِ والْحِلمِ إنَّني أرى غَفَلاتِ الْعَيْشِ قَبْلَ التَّجاربِ ٤٠

وقالَ الآخرُ: يوم قُديديمة الجوزاء مسموم.

فكلُّ ما وردَ عليك من هذه الظُّرف ليست فيهِ علامةُ التَّأنيثِ فهو على التَّذكيرِ. تقولُ في تصغيرِ خلف: خُلَيْف، وأمام: أُمَيْم. " ٤١ وقد عرض لذلك المُبرِّد في كتابهِ (المُذكَّر والمؤنَّث) ٤٢. ونقل نصَّ الفرَّاء السَّابقَ أبو البركات ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) في كتابه (المُذكَّر والمؤنَّث) ٤٣.

ج – تصغير وراء:

ذهبَ الخليلُ بن أحمد إلى أنَّ تصغير (وراء) هو (وُرَيَّة)، حيثُ قالَ: " وتصغيرُ وراء: وُرَيَّةٌ، تقول: رأيْتُه وُرَيَّة ذلك المَوضعِ وقُديْدمَه " ٤٤ وفي (تهذيب اللُّغة) عن ابن السِّكِّيت: ويُصغَّرُ " أمام " فيُقالُ: أُمَيِّم ذلك، وأُمَيِّة ذلك. وهو وريئ الحائطِ، ووريئة الحائطِ " ٤٥

ومذهبُ الكوفيين أنَّها تُصغَّرُ على (وريَّة) جاءَ في (تاج العروس): " قالَ ابنُ برِّي: وقد ذكرها الجوهريُّ في المُعتلِّ، وجعلَ همزتَها مُنقلبةً عن ياءٍ، قالَ: وهذا مذهبُ الكوفيين، وتصغيرُها عندهم (وُرَيَّة)، بغيرِ همزٍ. " ومذهبُ البصريين أنَّها تُصغَّرُ على (وُرَيئة) جاءَ في (التَّاجِ) وعند سيبويه تصغيرُها (وُرَيئة) والهمزةُ عندهُ أصليَّةٌ غيرُ مُنقلبةٍ عن ياءٍ " ٤٦.

وذكر ابنُ جنِّي٤٧ في (اللمع) ما نصُّه: " قالوا في وراء وُرَيْئة، وفي قُدَّام قُدَيْديمة، وفي أمام أُمَيْمة، قال القطاميُّ:

قُدَيْديمة التَّجريبِ والحلمِ إنَّني أرى غفلات العيشِ قبلَ التَّجاربِ. "

ونفس الأمرِ ذكره صاحبُ (القاموس المحيط) حينما قالَ: " وتصغيرُها وُرَيئة. ٤٨"

وفي(شرح شافية ابن الحاجب) ما نصُّه: ٤٩ " وفي وراء قولان: أحدهما: أنَّ لامَهُ همزةٌ، قالوا: يُقالُ: ورَّأتُ بكذا: أي ساترتُ بهِ، ومنه الحديث أنَّ النَّبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – " كانَ إذا أرادَ سفراً وَرَّأ بغيرهِ " وأصحابُ الحديثِ لم يضبطوا الهمزةَ فرووا " وَرَّي بغيرهِ "، وقالَ بعضُهم: بل لامه واو أو ياء، مثل كساء ورداء، من وَرَّيْتُ بكذا، وهو الأشهرُ، فتصغيرُه على هذا وُرَيَّة لا غير، بحذفِ الياءِ الثَّالثةِ كما في سُمَيَّة تصغير سماء.

الفصل الثاني
وراء في التّأصيلِ النّحوي

أتحدَّثُ في هذا الفصل عن المباحث الآتية:

أ – تعريف الظَّرف عند النُّحاةِ.

ب– المقصود بالمُصطلحات الآتية: (اسم الزَّمانِ – اسم المكانِ – المبهم – المُختص).

ج – صفات ما يُنصب على الظَّرفيَّة.

المبحث الأوّل: تعريف الظّرف عند النُّحاةِ.

يُعدُّ (وراء) من أسماءِ المكانِ المُبهمةِ، قالَ ابنُ هشام في(قطر النَّدى): " الرَّابعُ من المفعولاتِ: المفعولُ فيهِ، وهو المُسمَّى ظرفاً. وهو: كلُّ اسمِ زمانٍ أو مكانٍ سُلِطَ عليهِ عاملٌ على معنى " في " كقولك: صُمْتُ يومَ الخميسِ، وجلسْتُ أمامَكَ... " ٥٠

وفي تعليقهِ على تعريفِ ابن هشام السَّابقِ قالَ الشَّيخ محمَّد مُحيي الدِّين عبد الحميد: " ههنا أمرانِ أحبُّ أن أنبِّهكَ إليهما:

الأمرُ الأوَّلُ: أنَّ تسلُّطَ العاملِ على المفعولِ فيهِ هو ما يُشيرُ إليهِ قولُ المؤلِّفِ " على معنى في " سواءٌ أكانَ الفعلُ واقعاً بالفعلِ نحو " صُمْتُ يومَ الخميسِ " أم كانَ غيرَ واقعٍ نحو " ما صُمْتُ يومَ الخميسِ " وهذا يُخالفُ تسلُّطَ العامل على سائرِ المفاعيلِ،فإنَّهُ في المفعولِ بهِ على معنى وقوعهِ عليهِ، وعلى المفعولِ لهُ على معنى كونه علَّة لهُ، وعلى المفعولِ المُطلقِ على معنى أنَّهُ نفسُه.

والأمرُ الثَّاني: أنَّهُ لا يُسمَّى ظرفاً – عندَ النُّحاةِ – إلاَّ ما كانَ منصوباً على معنى في ؛ فإن لم يكن منصوباً بالعاملِ أصلاً أو كان منصوباً لكن على التَّوسُّعِ مثلاً لم يُسم ظرفاً. " ٥١

وقالَ ابنُ هشام: " واعلم أنَّ جميعَ أسماءِ الزَّمانِ تقبلُ النَّصبَ على الظَّرفيَّةِ، ولا فرقَ في ذلك بينَ المُختصِّ منها والمعدودِ والمُبهمِ، ونعني بالمُختصِّ ما يقعُ جواباً لِمتى، كيومِ الخميسِ، وبالمعدودِ ما يقعُ جواباً لِكمْ، كالأسبوعِ والشَّهرِ والحولِ، والمُبهمِ ما لا يقعُ جواباً لشيءٍ منها، كالحينِ، والوقتِ. وأنَّ أسماءَ المكانِ لا ينتصبُ منها على الظَّرفيَّةِ إلاَّ ما كانَ مُبهماً.

ب- المقصود بالمُصطلحات الآتية: (اسم الزَّمانِ - اسم المكانِ - المبهم - المُختص).

عرَّف أبو بكر بن السَّرَّاج المُبهمَ بقولهِ٥٢: " اعلم أنَّ الأماكنَ ليست كالأزمنةِ الَّتي يعملُ فيها كلُّ فعلٍ فينصبُها نصبَ الظُّروفِ لأنَّ الأمكنةَ: أشخاصٌ له خلق وصور يُعرفُ بها كالجبلِ والوادي وما أشبه ذلك، وهُنَّ بالنَّاسِ أشبهُ من الأزمنةِ لذلك. وإنَّما الظُّروفُ منها الَّتي يتعدَّى إليها الفعلُ الَّذي لا يتعدَّى ما كانَ منها مُبهماً خاصَّةً، ومعنى المُبهم: أنَّهُ هو الَّذي ليست له حدودٌ معلومةٌ تحصره، وهو يلي الاسمَ في أقطارهِ نحو: خلف وقُدَّام وأمام ووراء وما أشبه ذلك، ألا ترى أنَّك إذا قلت: قُمْتُ خلفَ المسجدِ، لم يكن لذلك الخلف نهايةٌ تقفُ عندها، وكذلك إذا قلت: قُدَّامُ زيدٍ، لم يكن لذلك حدٌّ ينتهي إليهِ، فهذا وما أشبهه هو المُبهمُ الَّذي لا اختلافَ فيهِ أنَّهُ ظرفٌ.

وأمَّا مكَّةُ والمدينةُ والمسجدُ والدَّارُ والبيتُ، فلا يجوزُ أن يكونَ ظروفاً ؛ لأنَّ لها أقطاراً محدودةً معلومةً، تقول: قمْتُ أمامك، وصليْتُ وراءك. ولا يجوزُ أن تقولَ: قُمْتُ المسجد، ولا قعدتُ المدينة، ولا ما أشبه ذلك. "

وقد فصَّل ابنُ هشام الأنصاري القولَ في المُبهمِ، وذكرَ أنَّه ثلاثةُ أنواعٍ، حيثُ قالَ: "

والمُبهمُ ثلاثةُ أنواعٍ:

أحدها: أسماء الجهات السِّت، وهي: الفوقُ، والتحتُ، والأعلى، والأسفلُ، واليمينُ، والشِّمالُ، وذاتُ اليمين، وذاتُ الشِّمال، والوراءُ، والأمام، قالَ اللهُ تعالى: [... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ] {يوسف:٧٦} [قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا] {مريم:٢٤} [وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ] {الأنفال:٤٢} [وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ] {الكهف:١٧} [وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ] {الكهف:٧٩}. وقولي: " وعكسهنَّ " أشرتُ بهِ إلى الوراءِ والتحتِ والشِّمالِ. وقولي:" ونحوهنَّ " أشرتُ بهِ إلى الجهاتِ وإن كانت ستًّا، لكن ألفاظها كثيرةٌ. ويلحقُ بأسماءِ الجهاتِ: ما أشبهها في شدَّةِ الإبهامِ والاحتياجِ إلى ما يبيِّنُ معناها " كعِنْدَ، ولَدَى ".

الثَّاني: أسماءُ مقاديرِ المساحاتِ " كالفرسخِ، والميلِ، والبَريدِ ".

الثَّالثُ: ما كانَ مصوغاً من مصدرِ عاملهِ كقولك: " جلسْتُ مَجْلِسَ زَيْدٍ " فالمجلسُ مُشتقٌّ من الجلوسِ الَّذي هو مصدرٌ لعاملهِ وهو جلسْتُ، قالَ اللهُ تعالى: [وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ] {الجنّ:٩}، ولو قلت: " ذهبْتُ مجلسَ زيدٍ " أو " جلسْتُ مذهبَ عمرو " لم يصح ؛ لاختلافِ مصدرِ اسمِ المكانِ ومصدرِ عامله " ٥٣

وقد علَّقَ الشَّيخُ محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد على كلامِ ابن هشام السَّابقِ بقولهِ: " خيرٌ من هذا أن نقولَ لك: المُبهمُ من الزَّمانِ ما دلَّ على مقدارٍ من الزَّمانِ غيرِ مُعيِّنٍ أي لا يُعرفُ أولُهُ ولا آخرهُ، نحو حين، وزمان، ولحظة، وساعة، ولفظ، ووقت، والمُختصُّ منه ما دلَّ على مقدارٍ مُعيِّنٍ معلوم الأوَّلِ والآخرِ، كأسماءِ الشُّهورِ، وكالصَّيفِ، والشِّتاءِ، وكلُّ ما خُصَّ من الأزمنةِ بوصفٍ، أو إضافةٍ، أو اقترانٍ بأل، والمعدود، ولو كان مُثنىً أو جمعاً، كيومين وأيام وشهرين وشهور، وهلمَّ جرًّا. " ٥٤

وعند تعريفه للمفعولِ فيهِ ذكرَ الزَّمخشريُّ ما نصُّه ٥٥: " المفعولُ فيهِ: هو ظرفا الزَّمانِ والمكانِ، وكلاهُما مُنقسمٌ إلى مُبهمٍ ومؤقَّتٌ، ومُستعمل اسماً وظرفاً، ومُستعمل ظرفاً لا غير. فالمُبهمُ نحو: الحين والوقت والجهات الستِّ. والمؤقَّتُ نحو: اليوم والليلة والسُّوق والدَّار. والمُستعمل ظرفاً لا غير ما لزم النَّصبَ نحو قولك: وسرنا ذات مرَّةٍ وبكرة وسحر وسحيرا وضُحى وعشاء وعشية وعتمة ومساءً، إذا أردت سحراً بعينه وضحى يومك وعشيته وعشاءه عتمة ليلتك ومساءها. ومثله عند وسوى وسواء."

ج – صفات ما يُنصب على الظَّرفيَّة من أسماء الزَّمان والمكانِ ٥٦:

وهي كما يقول د. محمَّد عيد:

(أ) أن يكونَ اسمَ زمانٍ أو مكانٍ.

(ب) أن يكونَ فضلةً، ويُقصدُ بهِ ما يأتي بعد استيفاء الجُملة ركنيها الأساسيين.

(ج) أن يكونَ بمعنى (في).

وقد فصَّلها بقولهِ: ٥٧:

أولاً: أسماء المكان:

كلُّ ما كانَ من أسماءِ الزَّمانِ وانطبقَ عليهِ الصِّفتانِ الأخريانِ من صفاتِ تحديدِ الظَّرفِ (فضلة – بمعنى في) فإنَّهُ يُنصبُ على الظَّرفيَّةِ سواءٌ أكانَ مُبهماً أم مُختصَّاً لا فرقَ بينَ الاثنينِ في ذلك، تقولُ: (سيقفُ الظَّالمون والمظلومون يوماً أمامَ الله، وحينذاك لن يفلتَ الظَّالمون من عدالةِ السَّماءِ يومَ الحسابِ).

ثانياً: اسم المكان:

ليست كلُّ أسماءِ المكانِ صالحةً للنَّصبِ على الظَّرفيَّةِ وإن استوفت الصِّفتين الأخريين من صفات ما يُنصب على الظَّرفيَّةِ، بل ذلك على التَّفصيل التَّالي:

(أ) أسماء المكان المُبهمة:

هذه هي الَّتي تُنصبُ على الظَّرفيَّةِ إذا استوفت الشَّرطين الباقيين، وهي كما يلي:

١ – أسماءُ الجهاتِ السِّتِّ، وهي (فوق – تحت – أعلى – أسفل – يمين – شمال – ذات اليمين – ذات الشِّمال – أمام – خلف – قُدَّام – وراء) تقول: (صَعِدَ المُؤذِّنُ فوقَ المئذنةِ، ليتمكَّنَ من رؤيةِ الهلالِ أسفلَ الأفقِ).

٢ – ما ليسَ اسم جهةٍ، ولكن يُشبهُهُ في الإبهامِ، بمعنى أنَّهُ يدلُّ على مكانٍ غيرِ مُحدَّدٍ ولا محصورٍ، وذلك مثل (أرض – مكان – حيثُ – لدى – بين – عند – مع) فمِنَ البيِّنِ أنَّ هذه الكلماتِ صالحةٌ لاستعمالها في مواطنَ كثيرةٍ فهي هكذا شائعةٌ مُبهمةٌ، تقول: (جلسْتُ مع المُتفرِّجين حيثُ أُشاهدُ العرضَ المُمتعَ) ومن ذلك قولُ الله تعالى: [وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا] {الفرقان:١٣} وقوله [اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا] {يوسف:٩}.

٣ – ما كانَ دالاً على مساحةٍ من الأرضِ يُمكنُ استخدامه في أيَّةِ بُقعةٍ منها للقياسِ والمساحةِ، مثل (ميل – فرسخ – بريد) فالاسمُ نفسُه مُحدَّدُ المقدارِ، لكن استعماله هو المُبهمُ، فهو يُستخدمُ في مواطنَ كثيرةٍ في الأرضِ أو الفضاءِ أو الماءِ، ولعلَّ ذلك المعنى الأخيرَ هو السَّببُ في اعتبارهِ من أسماءِ المكانِ المُبهمةِ – في رأي النُّحاةِ – تقول: (تنتقلُ سفينةُ الفضاءِ أميالاً في الفضاءِ قبلَ أن تنتقلَ الطَّائرةُ ميلاً في مجالِ الأرضِ) وتقول: (استخدمَ العربُ قديماً الخيولَ في نقلِ الرِّسائلِ، فتسيرُ بريداً من الأرضِ لتسلمها لغيرِها).

(ب) اسم المكان القياسي:

ويُقصدُ بهِ الَّذي يُشتقُّ بطريقةِ القياسِ الصَّرفيِّ ليدلَّ على المكانِ مثل (مَوقِف – مَصِيف – مَجْرَى – مَجْلِس – مَرْمَى – مَبْكى – مُتْحَف – مُنْتَجع)... هذا النَّوعُ من أسماءِ المكانِ يُنصبُ على الظَّرفيَّةِ إذا استوفى أيضاً الشَّرطين السَّابقين (فضلة – بمعنى في) ويُضافُ إلى ذلك أن يكونَ الفعلُ الَّذي تقدَّمَ عليهِ في الجُملةِ

من مادتهِ، أي من معناه وحروفهِ، تقول: (جرى النِّيلُ مَجْرَاهُ من آلافِ السِّنين) وتقول: (وقفْتُ مَوقِفَ السَّياراتِ) و (جلسْتُ مَجْلِسَ العلمِ) قالَ اللهُ تعالى: [وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ] {الجنّ:٩}.

فإن استوفى هذا النَّوعُ من أسماءِ المكانِ الشَّرطين الآخرين، ولم يتقدَّم عليهِ فعلٌ من مادَّتهِ بل من مادَّةٍ أخرى، ينبغي جرُّه بالحرفِ (في) لفظاً تقول: (انتظرتُ في موقِفِ السَّياراتِ) و (سارَ النيلُ في مجراهُ من آلافِ السِّنين) و (استمتعْتُ فوائد كثيرة في مجلِسِ العلمِ) أو (يسْفَحُ اليهودُ دموعَهم في مَبْكَى سُليمانَ).

(ج) اسم المكان المُختصُّ:

تقدَّمَ أن المكانَ المُختصَّ " ما له أقطارٌ تحويه " مثل (الكُلِّيَّة – المُدرَّج – البيت – الحديقة – الشَّارع – المسجد). هذا النَّوعُ من أسماءِ المكانِ إذا استوفى الشَّرطين الآخرين (فضلة – بمعنى في) فإنَّهُ يُجرُّ بحرفِ (في) لفظاً ولا يُنصبُ، تقول: (تخرَّجْتُ في الكُلِّيَّةِ) و (جلسْتُ في المُدرَّجِ) و (صليْتُ في المسجدِ) ولا يصحُّ نصبُه. ٥٨

هذا وقد ذكر الأستاذُ عبَّاس حسن تحت عنوان: (نظائر غير) الأسماء المُلازمةَ للإضافةِ – في أكثرِ حالتِها – وتنطبقُ عليها أحكامُ الإعرابِ والبناءِ الَّتي تنطبقُ على كلمةِ: " غير " وذكرَ أنَّ هذه الأسماءَ نوعان، حيثُ قالَ٥٩: " وهذه الأسماءُ نوعانِ، نوعٌ خالصُ الاسميَّة ؛ فلا يُفيدُ معها ظرفيَّة زمانيَّة ولا مكانيَّة، شأنُه في هذا شأنَ: " غير " فإنَّها مُتجرِّدةٌ للاسميَّةِ، وهذا النوعُ قليلٌ، مثل كلمة: " حسْب " ونوعٌ آخرٌ يُفيدُ مع الاسميَّةِ ظرفيةً زمانيَّةً أو مكانيَّةً ويدلُّ على ما يُسمَّى " الغاية"، ومنه الظُّروفُ الَّتي تُسمَّى: ظروف الغايات "٦٠ مثل: قبل – بعد – دون – الجهات السِّتِّ (وهي: فوق – تحت – يمين – شمال – أمام – خلف...) وما بمعنى هذه الجهات ؛ مما هو وارد مسموع، (مثل: قُدَّام – وراء – أسفل – عَلُ، بمعنى: فوق).

" وقد وضَّح صاحبُ (شرح المفصَّل) السَّببَ الَّذي من أجله قيلَ لهذا الضَّربِ من الظُّروفِ " غايات " بقولهِ: " قيلَ لهذا الضَّربِ من الظُّروفِ " غايات " ؛ لأنَّ غايةَ كُلِّ شيءٍ ما ينتهي بهِ ذلك الشَّيء. وهذه الظُّروفُ إذا أُضيفت كانت غايتُها " أي: نهايتُها " آخرَ المُضافِ إليه ؛ لأنَّهُ الَّذي يتمُّ بهِ الكلامُ، وهو نهايتُه. فإذا قُطِعَتْ عن الإضافةِ وأُريدَ معنى الإضافةِ صارت هي غاياتِ ذلك الكلامِ. – أي: نهايته – فلذلك من المعنى قيلَ لها: " غايات "...ثُمَّ قالَ: (وحُكمُ: أوَّل – وحسب – وليسَ غير – ولا غير –... حُكم قبل وبعد...) ٦١

قال الأستاذُ عبَّاس حسن ٦٢: " وقد ساقَ – يقصدُ ابن يعيش – هذا الكلامَ شرحاً لكلامِ الزَّمخشريِّ في المرجعِ السَّالفِ، ونصُّه الحرفيُّ: (الظُّروفُ منها: " الغايات "، وهي: قبل، وبعدُ، وفوق ُ، وتحتُ، وأمامُ، وقُدَّامُ، ووراءُ: وخلفُ، وأسفلُ، ودون، وأوَّلُ، وعلُ – ومن النَّادرِ ألاَّ تكونَ مجرورةً بالحرفِ: " من " – وقد جاءَ ما ليسَ بظرفٍ غايةً ؛ نحو: حسب – ولا غير – وليسَ غير... والَّذي هو حدُّ الكلامِ وأصلُه أن ينطقَ بهنَّ مُضافاتٍ. فلمَّا اقتطع عنهن ما يُضفن إليهِ وسكت عليهن – صرن حدوداً ينتهي عندها. فلذلك سُمين غايات)... أ هـ.

قال الأستاذُ عبَّاس حسن: ومُلخصُّ ما يُريدُه المتنُ وشرحه هو:

أ – أنَّ غايةَ الشَّيءِ هي آخره ونهايته.

ب – وأنَّ غايةَ الظَّرفِ المُضافِ ليست هي المقصودةُ، إنَّما الغايةُ المقصودةُ هي آخرُ المُضافِ إليهِ، إذ بهِ يتمُّ المعنى الفرعيُّ، وتتحقَّقُ " النِّسبةُ الجُزئيَّةُ " المُرادةُ من الإضافةِ.

جـ – وقد يُحذفُ المُضافُ إليهِ، ولكنَّهُ يظلُّ ملاحظاً في النِّيَّةِ والتَّقديرِ، بالرَّغمِ من حذفِ، وفي هذه الحالةِ يصيرُ آخرُ الظَّرفِ المُضافِ هو النِّهايةُ الَّتي تغني عن نهايةِ المُضافِ إليهِ المحذوفِ. أي: أنَّ الظَّرفَ

المُضافَ يصيرُ هو الغايةُ والخاتمةُ والنِّهايةُ بدلاً من ذلك المحذوفِ الملحوظِ .

وقد أورد صاحبُ النَّحو الوافي نصًّا للرَّضي ذكرَ فيهِ المسموعَ من الظُّروفِ المقطوعةِ عن الإضافةِ جاءَ فيهِ: " قالَ الرَّضيُّ: " المسموعُ من الظّروفِ المقطوعةِ عن الإضافةِ هو: قبل – بعد– تحت – فوق – أمام – قُدَّام – وراء – خلف – أسفل – دون – أوَّل – عَلُ – عَلْو. ولا يُقاسُ عليها ما هو بمعناها ؛ نحو: يمين – شمال – آخر، ونحو ذلك) فقولُ ابن مالك: يمين – شمال –... هو عند بعضهم غيرُ مقبولٍ، لأنَّهُ غيرُ مسموعٍ. وقد دافع عن ابن مالك آخرون، ووصفوه بأنَّهُ الإمامُ النَّحويُّ الثِّقة. " وقال: والَّذي ترتاحُ لهُ النَّفسُ هو رأيُ ابن مالك. ٦٣ وعن تصرُّفِ هذه الظُّروفِ قال: " ومن هذه الظُّروفِ الَّتي سردناها: المُتصرِّفُ (أي: الَّذي يكونُ ظرفاً وغيرَ ظرفٍ، كمبتدأ، وخبر، وفاعل،...،...) ومنها غيرُ المُترِّفِ (الَّذي لا يتركُ النَّصبَ هلى الظَّرفيَّةِ إلاَّ إلى الجرِّ " بمن ". وفصَّل قوله في الهامش، حيثُ قال: " فوق وتحت، لا ينصرَّفان في رأي كثيرٍ من النُّحاةِ. وأرى أنهما يتصرَّفانِ أحياناً إذا صارَ كلٌّ منهما مُتجرِّداً عن الظَّرفيَّةِ. ومن هذا في " تحت " قولُه عليه السَّلام: (لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يهلكَ الوُعولُ وتظهرُ التُّحوتُ) الوُعولُ: السَّادةُ الأشرافُ، المُفردُ وَعْل. قال في كتاب: " الغريبين – للهروي " ما نصُّه في مادَّةِ: " تحت " (أراد بالتُحوتِ: أراذل النَّاس، ومَن كانوا تحت أقدامهم) وجاءَ في هامشه: (قال ابنُ الأثيرِ في النِّهايةِ ص ١٨٢، جعل " تحت " الَّذي هو ظرف نقيض " فوق " اسماً ؛ فأدخل عليهِ لامَ التَّعريفِ، وجمعه. ا هـ... ويُعربُ هُنا فاعلاً... – (يمين وشمال) كثيرا التَّصرُّفِ – (قبل، وبعد، وباقي الظُّروف) متوسطةُ التَّصرُّفِ " ٦٤

الفصل الثالث

وراء في القرآن الكريم وموقف النُحاة والمفسِّرين ومُعربي القرآن منها

اعتمدتُ في دراسة وراء عند النُّحاةِ والمفسِّرين ومُعربي القرآن على المصادر الآتية:

(١) معاني القرآن: للفرَّاء.

(٢) مجاز القُرآن: لأبي عبيدة.

(٣) جامع البيان: لابن جرير الطَّبري.

(٤) إعراب القرآن: للزَّجَّاج.

(٥) إعراب القرآن للنَّحَّاس.

(٦) إعراب القرآن: لابن سِيده الأندلسي.

(٧) الكشَّاف: للزَّمخشريِّ.

(٨) المحرَّر الوجيز: لابن عطيَّة.

(٩) مفاتيح الغيب: للفخر الرَّازي.

(١٠) التِّبيان: للعُكبريِّ.

(١١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي.

(١٢) البحر المحيط: لأبي حيَّان الأندلسي.

(١٣) الدُّر المصون: للسَّمين الحلبي.

(١٤) التَّحرير والتَّنوير: للطَّاهر ابن عاشور.

(١٥) إعراب القرآن وبيانه: للشيخ الدَّرويش.

المبحث الأوَّل: وراء بمعنى النبذ والطَّرح والترك والرَّفض والإعراض٦٥:

* قال تعالى: [وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] {البقرة:١٠١}

لكي يتَّضحُ لنا دلالة (وراء) في هذه الآية علينا أولاً أن نبيِّن دلالة الفعل (نبـــذ)، ثُم بعد ذلك نعرض لتوجيهات النُّحاة والمفسرين ومُعربي القرآن الَّتي دارت حول الشَّاهد في الآية وهو قوله تعالى: (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) ثُمَّ نبيِّن أثر الإعراب في توجيه دلالة (وراء).

معنى النَّبذ: يرى ابنُ عطيَّة أنَّ النَّبذَ هو الطَّرحُ والإلقاءُ ومنه النَّبيـــذُ والمنبـــوذُ. ووافقه السَّمينُ الحلبيُّ حينما قالَ: " والنَّبذُ: الطَّرحُ. وقالَ بعضُهم: النَّبذُ والطَّرحُ والإلقاءُ مُتقاربة، إلاَّ أنَّ النَّبذَ أكثرُ ما يُقالُ في المبسوط والجاري مَجْراه، والإلقاء فيما يُعتبر فيه مُلاقاةٌ بينَ شيئين " ومِن مجيءِ النَّبذِ بمعنى الطَّرحِ قوله:

إنَّ الَّذينَ أمَرْتَهُمْ أن يَعْدِلُوا ** نَبَذوا كتابَك واستَحَلُّوا المَحْرَما.

ويرى القُرطبيُّ أنَّ النَّبذَ هو الطَّرحُ والإلقاءُ، واستشهد بقولِ أبي الأسود الدُّؤلي:

وخبَّرني مَن كُنْتُ أرسلْتُ إنَّما ** أخذتُ كتابي معرضا بشمالكا

نظرتُ إلى عنوانِهِ فنبذتُه كنبذك ** نعـــــلاً أخلقتُ من نعالكا. ٦٦

ويرى صاحبُ (مجاز القرآن)٦٧ أنَّ نبذَ في هذه الآيةِ بمعنى (ترك)، حيثُ قالَ ما نصُّه: " (نَبَذَ فَرِيقٌ) أي بعض، نبذه: تركه، وقالَ أبو الأسود الدُّؤليُّ، قـــالَ أبـــو عبيدة أُخِذَ من الدُّؤلانِ، واختار الدُّؤليُّ:

نَظَرْتُ إلى عنوانِهِ فنبذْتُه كَنبذِكَ ** نعلاً أخلقتْ مِنْ نعَالِكـــا.

ويرى الشَّيخُ الدَّرويش أنَّ لهذا الفعل – نبذ – خصائصَ عجيبةً، حيثُ قال مـــا نصُّه: " لهذا الفعلِ خصائصٌ عجيبةٌ، فهو في الأصلِ بمعنى الطَّرحِ، يُقـــالُ: نبـــذَ الشَّيءَ مِن يدهِ، أي: طرحَهُ ورمه بهِ، وصبيٌّ منبوذٌ. ونُهِيَ عن المنابذةِ في البيـــعِ، وهي أن تقولَ: انبذ إليَّ المتاعَ أو انبذه إليك. ومِن مجازِ هذا الفعلِ قولُهم: نَبَـــذَ أمري وراءَ ظَهرِهِ ؛ إذا لم يعمل بهِ، ومنه قولُه تعالى: [نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُـــوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ].

* التَّوجيه الدَّلالي لــ وراء في الآية:

قال تعالى: [نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ]:

يرى الطَّبريُّ أن قوله تعالى (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) هو مثلٌ، يُقالُ لكلِّ رافضٍ أمراً كانَ منهُ على بالٍ: حيثُ قالَ: " قد جعلَ فلانٌ هذا الأمرِ منه بظهرٍ، وجعلهُ وراءَ ظهرهِ " يعني أعرضَ عنهُ وصدَّ وانصرفَ... عن السّدي قالَ: " لَّما جاءَهم محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عارضوه بالتَّوراه فخاصموه بِها، فاتَّفقت التَّوراةُ والقُرآنُ، فنبذوا التَّوراةَ وأخذوا بكتابِ آصف، وسحر هاروت وماروت، فذلك قول اللهِ [كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]... عن قتادة قوله... نقضَ فريقٌ... أي أنَّ القومَ كانوا يعلمون، ولكنَّهم أفسدوا علمهم، وجحدوا وكفروا وكتموا. " ٦٨

ويرى أبو جعفر النَّحَّاسُ ٦٩أنَّ النَّبذَ هُنا بمعنى التَّرك. وذكرَ الزَّمخشريُّ ٧٠ أنَّ قوله تعالى (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) مثلٌ لتركهم وإعراضهم عنه مثل بِما يُرمى بِهِ وراء الظَّهرِ استغناءً عنه وقلَّة التفات إليهِ. وعن الشَّعبيِّ هو بينَ أيديهم يقرؤونه ولكنَّهم نبذوا العملَ بهِ. وعن سفيان أدرجوه في الدِّيباج والحريرِ وحلوه بالذَّهبِ ولم يحلُّوا حلالَهُ ولم يُحرِّموا حرامَهُ. " ويرى ابنُ عطيَّة ٧١ أنَّ (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) مثلٌ لأنَّ ما يُجعلُ ظهرياً فقد زالَ النَّظرُ إليهِ جملة، والعربُ تقول: جعل هذا الأمر وراءَ ظهرهِ ودُبر أذنه وقالَ الفرزدقُ:

تميم بن مر لا تكونن حاجتي ** بظهر فلا يعي على جوابها.٧٢

ونفسُ الكلامِ ذكره الرَّازيُّ ٧٣ حيثُ قالَ: " أمَّا قوله (نبذ فريق) فهو مثلٌ لتركهم وإعراضهم عنه بمثلِ ما يُرمى وراءَ الظَّهرِ استغناءً عنه وقلَّةَ التفات إليهِ " وقالَ: " أما قوله تعالى: {كِتَابَ اللّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} فقيل: إنه التوراة، وقيل: إنه القرآن، وهذا هو الأقرب لوجهين، الأول: أن النبذ لا يعقل إلا فيما تمسكوا به أولاً وأما إذا لم يلتفتوا إليه لا يقال إنهم نبذوه، الثاني: أنه قال: {نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} ولو كان المراد به القرآن لم يكن لتخصيص الفريق معنى

لأن جميعهم لا يصدقون بالقرآن، فإن قيل: كيف يصح نبذهم التوراة وهم يتمسكون به ؟

قلنا: إذا كان يدل على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لما فيه من النعت والصفة وفيه وجوب الإيمان ثم عدلوا عنه كانوا نابذين للتوراة."

وفسَّرَ القُرطبيُّ ٧٤ أنَّ معنى الآية بقولهِ: " وهذا مثلٌ لِمَن استخفَ بالشَّيءِ فلا يعملُ بهِ، تقولُ العربُ: اجعل هذا خلف ظهركَ ودبرَ أذنك وتحت قدمِك، أي اتركه وأعرض عنه، قالَ اللهُ تعالى: (واتَّخذتموه وراءَكم ظهرياً)... ".

وقالَ أبو حيَّان: ٧٥"، فنبذوه (وراء ظهورهم)، وهذا مثل يضرب لمن أعرض عن الشيء جملة. تقول العرب: جعل هذا الأمر وراء ظهره ودبر أذنه، وقال الفرزدق:

تميم بن مر لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا عليك جوابها

وقالت العرب ذلك، لأن ما جعل وراء الظهر فلا يمكن النظر إليه، ومنه: (واتخذتموه وراءكم ظهريا). وقال في المنتخب: النبذ والطرح والإلقاء متقاربة، لكن النبذ أكثر ما يقال فيما يئس، والطرح أكثر ما يقال في المبسوط وما يجري مجراه، والإلقاء فيما يعتبر فيه ملاقاة بين شيئين."

وما ذكره النُّحاةُ المفسِّرون سابقاً أكده الطَّاهرُ ابن عاشور حينما قال في (التَّحرير والتَّنوير) ٧٦: "

وقوله: {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} تمثيل للإعراض لأن من أعرض عن شيء تجاوزه فخلفه وراء ظهره وإضافة الوراء إلى الظهر لتأكيد بعد المتروك بحيث لا يلقاه بعد ذلك فجعل للظهر وراء وإن كان هو هنا بمعنى الوراء. فالإضافة كالبيانية وبهذا يجاب عما نقله ابن عرفة عن الفقيه أبي العباس أحمد بن عبلون أنه كان يقول مقتضى هذا أنهم طرحوا كتاب الله أمامهم لأن الذي وراء الظهر هو الوجه وكما أن

الظهر خلف للوجه كذلك الوجه وراء للظهر قال ابن عرفة وأجيب بأن المراد أي بذكر الظهر تأكيد لمعنى وراء كقولهم من وراء وراء. "

* التَّوجيه الصَّرفي لـ (وراء):

نجد هذا التَّوجيه عند العُكبريِّ الَّذي يرى أنَّ الهمزةَ في (وراء) أصلُها ياءٌ حيثُ قالَ: " والهمزةُ في " وراء " بدلٌ من ياءٍ لأنَّ ما فاؤه واو لا يكونُ لامه واواً. ويدلُّ عليهِ أنَّها ياءٌ في تواريْتُ لا همزة. وقالَ ابنُ جنِّي: هي عندنا همزةٌ لقولهم: وريئة بالهمزِ في التَّصغيرِ. "٧٧

* التَّوجيه النَّحوي ل (وراء):

قالَ ابنُ عطيَّة: ٧٨" والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويقع على اليسير والكثير من الجمع، ولذلك فسرت كثرة النابذين بقوله " بل أكثرهم " لما احتمل الفريق أن يكون الأقل و " لا يؤمنون " في هذا التأويل حال من الضمير في " أكثرهم " ويحتمل الضمير العود على الفريق، ويحتمل العود على جميع بني إسرائيل وهو أذم لهم والعهد الذي نبذوه هو ما أخذ عليهم في التوراة من أمر محمد – صلى الله عليه وسلم – وفي مصحف ابن مسعود نقضه فريق. وقوله تعالى " ولما جاءهم رسول من عند الله " يعني به محمد – صلى الله عليه وسلم – وما " معهم " هو التوراة، و " مصدق " نعت لـ " رسول "... و " الكتاب " الذي أوتوه التوراة، و " كتاب الله " مفعول ب " نبذ " والمراد القرآن ؛ لأن التكذيب به نبذ، وقيل المراد تتلو التوراة ؛ لأن مخالفتها والكفر بما أخذ عليهم فيها... "

وقالَ أبو حيَّان: ٧٩" (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب): الكتاب الذي أوتوه هو التوراة، وهو مفعول ثان لأوتوا، على مذهب الجمهور، ومفعول أول على مذهب السهيلي. وقد تقدم القول في ذلك.(كتاب الله): هو مفعول بنبذ. فقيل: كتاب الله هو التوراة. ومعنى نبذهم له: اطراح أحكامه، أو اطراح ما فيه من

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ الكفر ببعض، كفر بالجميع. وقيل: الإنجيل، ونبذهم له: اطراحه بالكلية. وقيل: القرآن، وهذا أظهر، إذ الكلام مع الرسول. فصار المعنى: أنه يصدق ما بين أيديهم من التوراة، وهم بالعكس، يكذبون ما جاء به من القرآن ويطرحونه. وأضاف الكتاب إلى الله تعظيما له، كما أضاف الرسول إليه بالوصف السابق، فصار ذلك غاية في ذمهم إذ جاءهم من عند الله بكتابه المصدق لكتابهم، وهو شاهد بالرسول والكتاب... "

وقالَ السَّمينُ الحلبيُّ: ٨٠" قوله تعالى: {الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ}: "الكتابَ" مفعولٌ ثانٍ لـ"أُوْتُوا" لأنه يتعدَّى في الأصلِ إلى اثنين. فأُقيم الأولُ مُقام الفاعلِ وهو الواوُ، وبقي الثاني منصوباً، وقد تَقَدَّم أنه عند السهيلي مفعولٌ أوَّلُ، و "كتابَ الله" مفعولُ نَبَذَ، و "وراءَ" منصوبٌ على الظرفِ وناصبُه "نَبَذَ"، وهذا مَثَلٌ لإهمالِهم التوراةَ... "

وللشيخ محيي الدِّين الدَّرويش رأي مهمٌّ في هذه الآية حيثُ قالَ٨١: " ومن مجاز هذا الفعلِ – نبذ – قولهم: " نبذَ أمري وراءَ ظهرهِ ؛ إذا لم يعمل بهِ، ومنه قوله تعالى: [نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ] قالوا ويتعيَّنُ أن يكونَ نبذَ مِن أفعالِ التَّحويلِ أو التَّصييرِ ؛ لدلالتها على الانتقالِ من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى، وعلى هذا فكتابُ اللهِ مفعولٌ بهِ أوَّل، ووراء ظهورهم مفعولٌ بهِ ثانٍ، ويبعدُ بل يتعذَّرُ جعلُه ظرفاً، لأنَّ الظَّرفَ لابدَّ أن يكونَ حاوياً لفاعلِ العاملِ فيهِ، والنَّابذون غيرُ كائنين وراء ظهورهم، على أنَّ بعضَ النُّحاةِ لا يشترطونَ وجودَ الفاعلِ والمفعولِ في الظَّرفِ. وقال َابنُ حجر في " شرح المنهاج ": ولك أنَّ تقولَ: إنَّ للقاعدةِ وجهاً وجيهاً لأنَّ ظرفَ المكانِ من الحسِّياتِ، فإذا جُعِلَ ظرفاً لفعلٍ حسِّيٍّ مُتعدٍّ لزم كون الفاعل والمفعول فيه ؛ لأنَّ الفعلَ المذكورَ لا يتحقَّقُ إلاَّ بوجودهما بخلافِ الفعلِ المعنويِّ، فإنَّهُ أجنبيٌّ من الظَّرفِ الحسيِّ، فاكتفى بما هو لازم له لكلِّ تقدير وهو الفاعلُ فقط. وللفقهاءِ أحكامٌ في التَّشريعِ مُستندةٌ إلى

هذا الخلافِ الطَّويلِ. فتدبَّر هذا الفصلَ، فإنَّهُ وإن طالَ بعضَ الطُّولِ، فهو كالحسن غير مملول. " وقالَ في إعراب الآية: " (نبذ فريق) فعلٌ وفاعلٌ، والجُملةُ لا محلَّ لها من الإعرابِ لأنَّها جوابُ شرطٍ غيرُ جازمٍ (من الَّذين) الجارُّ والمجرورُ صفةٌ لفريق (أوتوا الكتاب) فعل ماضٍ ونائب فاعل ومفعول بهِ ثانٍ (كتاب الله) مفعول نبذ (وراء ظهورهم) مفعول ثانٍ لنبذَ لتضمنه معنى جعلَ، أو ظرف مكانٍ مُتعلِّقٍ بمحذوفٍ هو المفعولُ الثَّاني. "

* التَّوجيه البلاغي في الآية:

دار التَّوجيهُ البلاغيُّ في الآية حول قوله تعالى: [كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] وجَّه الطَّبريُّ قوله تعالى: [كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] بقولهِ: " كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود – فنقضوا عهد الله بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل بما فيه – لا يعلمون ما في التوراة من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه. وهذا من الله جل ثناؤه إخبار عنهم أنهم جحدوا الحق على علم منهم به ومعرفة، وأنهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم... " ويرى الزَّجَّاجُ أنَّ الآية في موضعِ الحالِ، أي نبذوه مشابهين الجُهال. وأكدَّ ابنُ عطيَّة هذا المعنى بقولهِ: " و[كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] تشبيه بمَن لا يعلم إذ فعلوا فعلَ الجاهلِ فيجيءُ من اللفظِ أنَّهم كفروا على علمٍ. وهو ما أكَّده أيضاً صاحبُ (مفاتيح الغيب) بقولهِ: " أما قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} فدلالة على أنهم نبذوه عن علم ومعرفة لأنه لا يقال ذلك إلا فيمن يعلم، فدلت الآية من هذه الجهة على أن هذا الفريق كانوا عالمين بصحة نبوته إلا أنهم جحدوا ما يعلمون، وقد ثبت أن الجمع العظيم لا يصح الجحد عليهم فوجب القطع بأن أولئك الجاحدين كانوا في القلة بحيث تجوز المكابرة عليهم." وذكر أبو حيَّان نصَّا للماوردي قالَ فيهِ: "

كأنهم لا يعلمون ما أمروا به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: معناه كأنهم لا يعلمون أنه نبي صادق. وقيل: معناه كأنهم لا يعلمون أن القرآن والتوراة والإنجيل كتب الله، وأن كل واحد منها حق، والعمل به واجب." ووجَّه السَّمين الحلبيُّ الآية بقوله: " {كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} جملة في محلِّ نصبٍ على الحال، وصاحبُها، فريق، وإن كانَ نكرةً لتخصيص بالوصف، والعاملُ فيها نبذَ: والتَّقديرُ مُشبَّهين للجُهَّال. ومُتعلِّقُ العلمِ محذوفٌ تقديره: أنَّهُ كتابُ اللهِ لا يُداخلهم فيه شكٌّ، والمعنى: أنَّهم كفروا عناداً " وقال الطَّاهرُ بن عاشور: إنَّ قولَهُ تعالى {كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ} تسجيلٌ عليهم بأنَّهم عالمون بأنَّ القُرآنَ كتابُ اللهِ أو كأنَّهم لا يعلمون التَّوراةَ وما فيها من البشارةِ ببعثةِ الرَّسولِ من ولدِ إسماعيل. "

* ويأتي تحت معنى: النَّبذ والطَّرح والتَّرك والرَّفض والنَّقض قوله تعالى:

[وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ] {آل عمران:١٨٧} ٨٢

المبحث الثاني: وراء بمعنى: سوى أو دون أو غير أو ما عدا ٨٣:

قالَ تعالى: [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ] {النساء:٢٤}

* التوجيه الدَّلالي لـ (وراء) في الآية:

دار التَّوجيهُ الدَّلاليُّ في هذه الآية حول قولهِ تعالى: [وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ] حيثُ يرى أبو عُبيدة ٨٤: أنَّها بمعنى: ما سوى ذلك. وذهبَ الفرَّاءُ إلى أنَّها بمعنى: ما سوى ذلكم ٨٥. وذكر الطَّبريُّ اختلاف أهل التَّأويل في ذلك حيثُ قالَ ما نصُّه ٨٦: " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: وأحل لكم ما دون الخمس، أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح.... عن السدي:"وأحل لكم ما وراء ذلكم"، ما دون الأربع "أن تبتغوا أموالكم".... عن سفيان، عن هشام،عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني:"وأحل لكم ما وراء

ذلكم"، يعني: ما دون الأربع.وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأحل لكم ما وراء ذلكم: مَن سَمَّى لكم تحريمه من أقاربكم.

... عن ابن جريج قال: سألت عطاء عنها فقال:"وأحل لكم ما وراء ذلكم"، قال: ما وراء ذات القرابة ="أن تبتغوا بأموالكم"، الآية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك:"وأحل لكم ما وراء ذلكم: عددَ ما أحل لكم من المحصنات من النّساء الحرائر ومن الإماء.... عن قتادة في قوله:"وأحل لكم ما وراء ذلكم"، قال: ما ملكت أيمانكم....

وفي ترجيحه – أي الطَّبريُّ – للأقوالِ السَّابقةِ قالَ:

" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما نحن مبيِّنوه. وهو أن الله جل ثناؤه بيَّن لعباده المحرَّمات بالنسب والصهر، ثم المحرمات من المحصنات من النساء، ثم أخبرهم جل ثناؤه أنه قد أحل لهم ما عدا هؤلاء المحرَّمات المبيَّنات في هاتين الآيتين، أن نَبْتغيه بأموالنا نكاحًا وملك يمين، لا سفاحًا. "

وقالَ: " وأما معنى قوله:"ما وراء ذلكم"، فإنه يعني: ما عدا هؤلاء اللواتي حرَّمتهن عليكم "أن تبتغوا بأموالكم" يقول: أن تطلبوا وتلتمسوا بأموالكم، إما شراءً بها، وإما نكاحًا بصداق معلوم، كما قال جل ثناؤه:(وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ) [سورة البقرة: ٩١]، يعني: بما عداه وبما سواه. "

ويتَّضحُ دورُ التَّأويل في بيان معنى وراء أو في بيان دلالتها في نصِّ صاحب (المحرَّر الوجيز) حينما قالَ ٨٧: " واختلفت عبارة المفسرين في قوله تعالى " وأحل لكم ما وراء ذلكم " فقال السدي المعنى وأحل لكم ما دون الخمس أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح وقال نحوه عبيدة السلماني وقال عطاء وغيره المعنى وأحل لكم ما وراء من حرم من سائر القرابة فهن حلال لكم تزويجهن وقال قتادة المعنى " وأحل لكم ما وراء ذلكم " من الإماء.

قال القاضي أبو محمد ولفظ الآية يعم جميع هذه الأقوال وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأحل لكم بفتح الألف والحاء وهذه مناسبة لقوله " كتاب الله " إذ المعنى كتب الله ذلك كتابا وقرأ حمزة والكسائي وأحل بضم الهمزة وكسر الحاء وهذه مناسبة لقوله " حرمت عليكم " والوراء في هذه الآية ما يعتبر أمره بعد اعتبار المحرمات فهن وراء أولئك بهذا الوجه... "

ويُعدُّ كلامُ صاحب (مفاتيح الغيب) مثالاً جليًّا لمنهج المفسِّر في استخراج الدَّلالات وترجيحِ دلالة على دلالةٍ أخرى، حيثُ قالَ٨٨: " {وَأُحِلّ لَكُم مِّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} وفيه مسائل:...

المسألة الثانية: اعلم أن ظاهر قوله تعالى: {وَأُحِلّ لَكُم مِّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} يقتضي حل كل من سوى الأصناف المذكورة. إلا أنه دل الدليل على تحريم أصناف أخر سوى هؤلاء المذكورين ونحن نذكرها.

الصنف الأول: لا يجمع بين المرأة وبين عمتها وخالتها، قال النبي صلى الله عليه وسلّم: "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها" وهذا خبر مشهور مستفيض/ وربما قيل: إنه بلغ مبلغ التواتر، وزعم الخوارج أن هذا خبر واحد، وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد لا يجوز، واحتجوا عليه بوجوه: الأول: أن عموم الكتاب مقطوع المتن ظاهر الدلالة، وخبر الواحد مظنون المتن ظاهر الدلالة، فكان خبر الواحد أضعف من عموم القرآن، فترجيحه عليه بمقتضى تقديم الأضعف على الأقوى وإنه لا يجوز. الثاني: من جملة الأحاديث المشهورة خبر معاذ، وإنه يمنع من تقديم خبر الواحد على عموم القرآن من وجهين لأنه قال: بم تحكم ؟

قال بكتاب الله، قال: فان لم تجد قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقدم التمسك بكتاب الله على التمسك بالسنة، وهذا يمنع من تقديم السنة على الكتاب، وأيضا فانه قال: فان لم تجد قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم،

علق جواز التمسك بالسنة على عدم الكتاب بكلمة "إن" وهي للاشتراط، والمعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط.

الثالث: أن من الأحاديث المشهورة قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافقه فاقبلوه وإلا فردوه" فهذا الخبر يقتضي أن لا يقبل خبر الواحد / إلا عند موافقة الكتاب، فإذا كان خبر العمة والخالة مخالفا لظاهر الكتاب وجب رده.

الرابع: أن قوله تعالى: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} مع قوله عليه السلام: لا تنكح المرأة على عمتها لا يخلو الحال فيهما من ثلاثة أوجه: إما أن يقال: الآية نزلت بعد الخبر، فحينئذ تكون الآية ناسخة للخبر لأنه ثبت أن العام إذا ورد بعد الخاص كان العام ناسخا للخاص، وإما أن يقال: الخبر ورد بعد الكتاب، فهذا يقتضي نسخ القرآن بخر الواحد وإنه لا يجوز، وإما أن يقال: وردا معا، وهذا أيضا باطل لأن على هذا التقدير تكون الآية وحدها مشتبهة، ويكون موضع الحجة مجموع الآية مع الخبر، ولا يجوز للرسول المعصوم أن يسعى في تشهير الشبهة ولا يسعى في تشهير الحجة، فكان يجب على الرسول صلى الله عليه وسلّم أن لا يسمع أحدا هذه الآية إلا مع هذا الخبر، وأن يوجب إيجابا ظاهرا على جميع الأمة أن لا يبلغوا هذه الآية أحداً إلا مع هذا الخبر، ولو كان كذلك لزم أن يكون اشتهار هذا الخبر مساويا لاشتهار هذه الآية، ولما لم يكن كذلك علمنا فساد هذا القسم.

الوجه الخامس: أن بتقدير أن تثبت صحة هذا الخبر قطعا، إلا أن التمسك بالآية راجح على التمسك بالخبر. وبيانه من وجهين: الأول: أن قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} نص صريح في التحليل كما أن قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ} نص صريح في التحريم. وأما قوله: "لا تنكح المرأة على عمتها" فليس نصا صريحا لأن ظاهره إخبار، وحمل الأخبار على النهي مجاز، ثم بهذا التقدير فدلالة لفظ النهي على

التحريم أضعف من دلالة لفظ الإحلال على معنى الإباحة. الثاني: أن قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} صريح في تحليل كل ما سوى المذكورات، وقوله: {تَنكِحَ} ليس صريحا في العموم، بل احتماله للمعهود السابق أظهر.

الوجه السادس: أنه تعالى استقصى في هذه الآية شرح أصناف المحرمات فعد منها خمسة عشر صنفا، ثم بعد هذا التفصيل التام والاستقصاء الشديد قال: {كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُم وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} فلو لم يثبت الحل في كل من سوى هذه الأصناف المذكورة لصار هذا الاستقصاء عبثا لغوا، وذلك لا يليق بكلام أحكم الحاكمين، فهذا تقرير وجوه السؤال في هذا الباب.

وقد ذكرَ الرَّازيُّ الجواب بعدَّةِ وجوهٍ، حيثُ قالَ:

" والجواب على وجوه: الأول: ما ذكره الحسن وأبو بكر الأصم، وهو أن قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} لا يقتضى إثبات الحل على سبيل التأييد، وهذا الوجه عندي هو الأصح في هذا الباب، والدليل عليه أن قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} إخبار عن إحلال كل ما سوى المذكورات وليس فيه بيان أن إحلال كل ما سوى المذكورات وقع على التأبيد أم لا، والدليل على أنه لا يفيد التأبيد: أنه يصح تقسيم هذا المفهوم إلى المؤبد وإلى غير المؤبد، فيقال تارة: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} أبداً، وأخرى {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} إلى الوقت الفلاني، ولو كان قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} صريحا في التأبيد لما كان هذا التقسيم ممكنا، ولأن قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} لا يفيد إلا إحلال من سوى المذكورات وصريح العقل يشهد بأن الإحلال أعم من الإحلال المؤبد ومن الإحلال المؤقت، إذا ثبت هذا فنقول: قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} لا يفيد إلا حل من عدا المذكورات في ذلك الوقت، فأما ثبوت حلهم في سائر الأوقات فاللفظ ساكت عنه بالنفي والإثبات، وقد كان حل من سوى المذكورات ثابتا في ذلك الوقت، وطريان حرمة بعضهم بعد ذلك لا يكون

تخصيصا لذلك النص ولا نسخا له، فهذا وجه حسن معقول مقرر. وبهذا الطريق نقول أيضا: إن قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} (النساء: ٢٣) ليس نصا في تأبيد هذا التحريم، وإن ذلك التأبيد إنما عرفناه بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلّم، لا من هذا اللفظ، فهذا هو الجواب المعتمد في هذا الموضع.

الوجه الثاني: أنَّا لا نسلم أن حرمة الجمع بين المرأة وبين عمتها وخالتها غير مذكورة في الآية وبيانه من وجهين: الأول: أنه تعالى حرم الجمع بين الأختين، وكونهما أختين يناسب هذه الحرمة لأن الأختية قرابة قريبة، والقرابة القريبة تناسب مزيد الوصلة والشفقة والكرامة، وكون إحداهما ضرة الأخرى يوجب الوحشة العظيمة والنفرة الشديدة، وبين الحالتين منافرة عظيمة، فثبت أن كونها أختاً لها يناسب حرمة الجمع بينهما في النكاح، وقد ثبت في أصول الفقه ان ذكر الحكم مع الوصف المناسب له، يدل بحسب اللفظ على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فثبت أن قوله: {وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأختين} (النساء: ٢٣) يدل على كون القرابة القريبة مانعة من الجمع في النكاح، وهذا المعنى حاصل بين المرأة وعمتها أو خالتها، فكان الحكم المذكور في الأختين مذكورا في العمة والخالة من طريق الدلالة، بل ههنا أولى، وذلك لأن العمة والخالة يشبهان الأم لبنت الأخ ولبنت الأخت، وهما يشبهان الولد للعمة والخالة، واقتضاء مثل هذه القرابة لترك المضارة أقوى من اقتضاء قرابة الأختيَّة لمنع المضارة، فكان قوله: {وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الاخْتَيْنِ} مانعا من العمة والخالة بطريق الأولى. الثاني: أنه نص على حرمة التزوج بأمهات النساء فقال: {وَأُمَّهَاتُ نسائكم} (النساء: ٢٣) ولفظ الأم قد ينطلق على العمة والخالة، أما على العمة فلأنه تعالى قال مخبرا عن أولاد يعقوب عليه السلام: {نَعْبُدُ إلهك والاه أبائك إِبْرَاهيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} (البقرة: ١٣٣) فأطلق لفظ الأب على إسماعيل مع أنه كان عما، وإذا كان العم أباً لزم أن تكون العمة أماً، وأما إطلاق لفظ الأم على الخالة فيدل عليه قوله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ

عَلَى الْعَرْشِ} (يوسف: ١٠٠) والمراد أبوه وخالته، فان أمه كانت متوفاة في ذلك الوقت، فثبت بما ذكرنا أن لفظ الأم قد ينطلق على العمة والخالة، فكان قوله: {وَأُمَّهَاتُ نسائكم} متناولا للعمة والخالة من بعض الوجوه.

وإذا عرفت هذا فنقول: قوله: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} المراد ما وراء هؤلاء المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح أو بدلالة جلية/ أو بدلالة خفية، وإذا كان كذلك لم تكن العمة والخالة خارجة عن المذكورات.

الوجه الثالث: في الجواب عن شبهة الخوارج أن نقول: قوله تعالى: {وَأُحِلّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَالِكُمْ} عام، وقوله: "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها" خاص، والخاص مقدم على العام، ثم ههنا طريقان: تارة نقول: هذا الخبر بلغ في الشهرة مبلغ التواتر، وتخصيص عموم القرآن بخبر المتواتر جائز، وعندي هذا الوجه كالمكابرة، لأن هذا الخبر وإن كان في غاية الشهرة في زماننا هذا لكنه لما انتهى في الأصل إلى رواية الآحاد لم يخرج عن أن يكون من باب الآحاد. وتارة نقول: تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد جائز، وتقريره مذكور في الأصول، فهذا جملة الكلام في هذا الباب، والمعتمد في الجواب عندنا الوجه الأول." ٨٩

ويرى صاحبُ (التَّحرير والتَّنوير)٩٠ أنَّ الوراءَ في هذه الآيةِ بمعنى غير ودون، واستشهد بقولِ النَّابغة: ..... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهب. "

* التَّوجيه النَّحوي لـ (وراء) في هذه الآية:

نجدُ هذا التَّوجيه عند صاحب (جامع البيان) حيثُ ذكر قراءتين في هذه الآية ووجَّههما نحويًّا بقولهِ: " واختلف القراءةُ في قراءة قوله:"وأحل لكم ما وراء ذلكم".

فقرأ ذلك بعضهم:"وَأَحَلَّ لَكُمْ" بفتح"الألف" من"أحل" بمعنى: كتب الله عليكم، وأحل لكم ما وراء ذلكم.وقرأه آخرون:(وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ)، اعتبارًا بقوله:(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ)،"وأحل لكم ما وراء ذلكم".

قال أبو جعفر: والذي نقول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة الإسلام، غير مختلفتي المعنى، فبأيِّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ الحقَّ.

وأما معنى قوله:"ما وراء ذلكم"، فإنه يعني: ما عدا هؤلاء اللوائ حرَّمتهن عليكم "أن تبتغوا بأموالكم" يقول: أن تطلبوا وتلتمسوا بأموالكم، إما شراءً بها، وإما نكاحًا بصداق معلوم، كما قال جل ثناؤه:(وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ) [سورة البقرة: ٩١]، يعني: بما عداه وبما سواه. "٩١

وفي كلامِ مكي بن أبي طالب صاحب (مشكل إعراب القرآن) يتَّضحُ لنا اختلافُ الإعراب وكيف يؤثِّرُ في توجيه المعنى حيثُ قالَ ٩٢: " قوله (كتاب الله عليكم) نصب على المصدر على قول سيبويه لأنه لما قال (حرمت عليكم أمهاتكم) علم أن ذلك مكتوب فكأنه قال: كتب الله عليكم كتابا. وقال الكوفيون هو منصوب على الإغراء بعليكم وهو بعيد ؛ لأن ما انتصب بالإغراء لا يتقدم على ما قام مقام الفعل وهو عليكم، وقد تقدم في هذا الموضع ولو كان النصُّ (عليكم كتاب الله) لكان نصبه على الإغراء أحسن من المصدر.

قوله (إلا ما ملكت أيمانكم) ما في موضع نصب على الاستثناء و (ما ملكت) مصدر ولذلك وقعت ما لمن يعقل ؛ لأنَّ المرادَ بها صفة من يعقل وما يسأل بها عما لا يعقل و عن صفات من يعقل.

قوله (أن تبتغوا) أن في موضع نصب على البدل من ما في قوله (ما وراء ذلكم) أو في موضع رفع على قراءة من قرأ وأُحِلَ على ما لم يسم فاعله بدل من ما أيضا. قوله (محصنين) حال من المضمر في تبتغوا وكذلك غير مسافحين. "

ونلحظُ التَّوجيه النَّحوي للقراءتين أيضاً عند الفخر الرَّازي حينما قال ٩٣: ": قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم {وَأُحِلّ لَكُم} على ما لم يسم فاعله عطفا على قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ} والباقون بفتح الألف والحاء عطفا على {كِتَابَ اللّهِ} يعني كتب الله عليكم تحريم هذه الأشياء وأحل لكم ما وراءها."

ويتَّضحُ أيضاً أثرُ التَّوجيه النَّحويِّ على الدِّلالةِ في كلام العُكبري عندما قالَ ٩٤: " و (أُحِلَ لكم) يُقرأُ بالفتحِ على تسميةِ الفاعلِ. وهو معطوفٌ على الفعلِ النَّاصبِ لكتاب وبالضَّمِّ عطفاً على حُرِّمَتْ (ما وراء ذلكم) في ما وجهان:

أحدُهما: هي بمعنى من، فعلى هذا يكونُ قولهُ (أن تبتغوا) في موضعِ جرٍّ أو نصبٍ على تقديرِ: بأن تبتغوا أو لأن تبتغوا: أي أُبيحَ لكم غيرُ ما ذكرنا من النِّساءِ بالمهورِ.

والثَّاني: أنَّ ما بمعنى الَّذي، والَّذي كنايةٌ عن الفعلِ: أي وأُحِلَ لكم تحصيلُ ما وراء ذلك الفعلِ المُحرَّمِ. وأن تبتغوا بدلٌ منه ويجوزُ أن يكونَ أن تبتغوا في هذا الوجهِ مثله في الوجهِ الأوَّلِ (مُحصنين) حال من الفاعل في تبتغوا. "

وكذا يتَّضحُ دورُ التَّفسيرِ والتَّوجيه النَّحوي في بيان الدَّلالة وتحديدها في قولِ أبي حيَّان الأندلسي حيثُ قالَ ما نصُّه: ٩٥" قال ابن عطية: والوراء في هذه الآية ما يعتبر أمره بعد اعتبار المحرمات، فهو وراء أولئك بهذا الوجه. وقال الفراء: ما وراء ذلكم أي: ما سوى ذلكم. وقال الزجاج: ما دون ذلكم، أي: ما بعد هذه الأشياء التي حرمت. وهذه التفاسير بعضها يقرب من بعض.

وموضع أن تبتغوا نصب على أنه بدل اشتمال من ما وراء ذلكم، ويشمل الابتغاء بالمال النكاح والشراء. وقيل: الابتغاء بالمال هو على وجه النكاح. وقال الزَّمخشري: أن تبتغوا مفعول له، بمعنى: بين لكم ما يحل مما يحرم، إرادة أن يكون ابتغاؤكم بأموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم، فتخسروا دنياكم ودينكم، ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين انتهى كلامه. وانظر إلى جعجعة هذه الألفاظ وكثرتها، وتحميل لفظ القرآن ما لا يدل عليه، وتفسير الواضح الجلي باللفظ المعقد، ودس مذهب الاعتزال في غضون هذه الألفاظ الطويلة دسا خفيا إذ فسر قوله: وأحل لكم بمعنى بين لكم ما يحل. وجعل قوله:

أن تبتغوا على حذف مضافين: أي إرادة أن يكون ابتغاؤكم، أي: إرادة كون ابتغائكم بأموالكم. وفسر الأموال بعد بالمهور، وما يخرج في المناكح، فتضمن تفسيره: أنه تعالى بين لكم ما يحل لإرادته كون ابتغائكم بالمهور، فاختصت إرادته بالحلال الذي هو النكاح دون السفاح. وظاهر الآية غير هذا الذي فهمه الزَّمخشري. إذ الظاهر أنه تعالى أحل لنا ابتغاء ما سوى المحرمات السابق ذكرها بأموالنا حالة الإحصان، لا حالة السفاح. وعلى هذا الظاهر لا يجوز أن يعرب: أن تبتغوا مفعولا له، كما ذهب إليه الزَّمخشري، لأنه فات شرط من شروط المفعول له، وهو اتحاد الفاعل في العامل والمفعول له. لأن الفاعل بقوله: وأحل، هو الله تعالى. والفاعل في:أن تبتغوا، هو ضمير المخاطبين، فقد اختلفا. ولما أحس الزَّمخشري أن كان أحس بهذا، جعل أن تبتغوا على حذف إرادة حتى يتحد الفاعل في قوله: وأحل، وفي المفعول له، ولم يجعل أن تبتغوا مفعولا له إلا على حذف مضاف وإقامته مقامه، وهذا كله خروج عن الظاهر لغير داع إلى ذلك. ومفعول تبتغوا مفعولا له إلا على حذف مضاف وإقامته مقامه، وهذا كله خروج عن الظاهر لغير داع إلى ذلك. ومفعول تبتغوا محذوف اختصارا، إذ هو ضمير يعود على ما من قوله: ما وراء ذلكم، وتقديره: أن تبتغوه."

ووجَّه الشَّيخُ الدَّرويش الإعراب في الآية على النَّحو التَّالي[٩٦]: " الواو: عاطفة، وأُحِلَّ فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمجهولِ، وقرئ بالبناءِ للمعلومِ، وهو معطوفٌ على الفعلِ الَّي نصب المصدر، ولكم جارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقانِ بأحلَّ، وما اسمٌ موصولٌ نائب فاعل، أو مفعول بهِ، ووراء ظرفٌ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ صلة الموصولِ، واسمُ الإشارة مُضافٌ إليه. "

– ويأتي تحت هذا المعنى قوله تعالى:

[فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ] {المؤمنون:٧}

– ويأتي تحت هذا المعنى أيضاً قوله تعالى:

[فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ] {المعارج:٣١}

– ويأتي تحت هذا العنوان قولُه تعالى:

[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] {البقرة:٩١}

المبحث الثالث: وراء بمعنى خلف ٩٧:

قالَ تعالى: [وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...] (الأنعام: ٩٤).

* التَّوجيه الدَّلالي لـ وراء في الآية:

يرى الطَّبريُّ أنَّ وراءَ في هذه الآية بمعنى خلفكم في الدُّنيا، وفسَّر التَّخويل بالعطاء، حيثُ قالَ ما نصُّه:٩٨ " وأما قوله:" وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم"، فإنه يقول: خلفتم أيها القوم ما مكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها، خلفكم في الدنيا فلم تحملوه معكم.وهذا تعيير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التي كانوا يتباهون بها في الدنيا بأموالهم.وكل ما ملكته غيرك وأعطيته:"فقد خوّلته"، يقال منه:"خال الرجل يَخَال أشدّ الخِيال" بكسر الخاء ="وهو خائل"، ومنه قول أبي النجم:

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ

كَومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ المُخَوِّلِ٩٩

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير:

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخوِلُوا ... وَإِن يُسْأَلُوا يُعطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا١٠٠

... عن السدي:"وتركتم ما خوّلناكم"، من المال والخدم ="وراء ظهوركم"، في الدنيا."

ونفس المعنى الدَّلالي لوراء نجده عند صاحب (الكشَّاف) حينما قال: " (وَتَـرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ) ما تفضَّلنا بهِ عليكم في الدُّنيا فشغلتم بهِ عن الآخرةِ (وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيراً ولا قدَّمتموه لأنفسكم. " ويرى ابنُ عطيَّة أنَّ المقصدَ من الآيةِ توقيفُ الكُفَّارِ على انفرادهم وقلَّة النَّصير واحتياجهم إلى الله عزَّ وجلَّ بفقد الخول والشُّفعاء فيكون قوله (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) تشبيهاً بالانفرادِ الأوَّلِ في وقتِ الخلقةِ... وقالَ: " و " خولناكم " معناه أعطيناكم، وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد بيت زهير:

هنالك إن يستخولوا المال يخولوا وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

" الطويل " " وراء ظهوركم " إشارة إلى الدنيا لأنهم يتركون ذلك موجودا. "

ونلحظُ عند الفخر الرَّازيِّ أنَّ تعدُّدَ الدَّلالات يرتكزُ على (ما وراء) حيثُ قالَ ١٠١:

" اعلم أن هذه الآية مشتملة على قانون شريف في معرفة أحوال القيامة:

فأولها: أن النفس الإنسانية إنّما تعلقت بهذا الجسد آلة له في اكتساب المعارف الحقَّة والأخلاق الفاضلة فإذا فارقت النفس الجسد ولم يحصل هذين المطلوبين البتة عظمت حسراته وقويت آفاته حيث وجد مثل هذه الآلة الشريفة التي يمكن اكتساب السعادة الأبدية بها، ثم إنه ضيعها وأبطلها ولم ينتفع بها البتة، وهذا هو المراد من قوله: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}.

وثانيها: أن هذه النفس مع أنها لم تكتسب بهذه الآلة الجسدانية سعادة روحانية، وكمالاً روحانياً، فقد عملت عملاً آخر أردأ من الأول، وذلك لأنَّها طول العمر كانت في الرغبة في تحصيل الماء والجاه وفي تقوية العشق عليها، وتأكيد المحبة، وفي تحصيلها. والإنسان في الحقيقة متوجه من العالم الجسماني إلى العالم الروحاني، فهذا المسكين قلب القضية وعكس القضية

وأخذ يتوجه من المقصد الروحاني إلى العالم الجسماني ونسي مقصده واغتر باللذات الجسمانية، فلما مات انقلبت القضية شاء أم أبى توجه من العالم الجسماني إلى العالم الروحاني، فبقيت الأموال التي اكتسبها وأفنى عمره في تحصيلها وراء ظهره والشيء الذي يبقى وراء ظهر الإنسان لا يمكنه أن ينتفع به، وربما بقي منقطع المنفعة معوج الرقبة معوج الرأس بسبب التفاته إليها مع العجز عن الانتفاع بها، وذلك يوجب نهاية الخيبة والغم والحسرة وهو المراد من قوله: {وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ } وهذا يدل على أن كل مال يكتسبه الإنسان ولم يصرفه في مصارف الخيرات فصفته هذه التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، أما إذا صرفها إلى الجهات الموجبة للتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فما ترك تلك الأموال وراء ظهره ولكنه قدمها تلقاء وجهه، كما قال تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفسكم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّه } (البقرة: ١١٠)

وثالثها: أن أولئك المساكين أتعبوا أنفسهم في نصرة الأديان الباطلة، والمذاهب الفاسدة / وظنوا أنهم ينتفعون بها عند الورود في محفل القيامة، فإذا وردوه وشاهدوا ما في تلك المذاهب من العذاب الشديد والعقاب الدائم حصلت فيه جهات كثيرة من العذاب. منها عذاب الحسرة والندامة: وهو أنه كيف أنفق ماله في تحمل العناء الشديد والبلاء العظيم في تحصيل ما لم يحصل له منه إلا العذاب والعناء، ومنها عذاب الخجلة: وهو أنه ظهر له أن كل ما كان يعتقده في دار الدنيا كان محض الجهالة وصريح الضلالة، ومنها حصول اليأس الشديد مع الطمع العظيم، ولا شك أن مجموع هذه الأحوال يوجب العذاب الشديد والآلام العظيمة الروحانية، وهو المراد من قوله: {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآ ؤُكم}.

ورابعها: أنه لما بدا له أنه فاته الأمر الذي به يقدر على اكتساب الخيرات، وحصل عنده الأمر الذي يوجب حصول المضرات، فإذن بقي له رجاء في التدارك من بعض الوجوه فههنا يخف ذلك الألم ويضعف ذلك الحزن. أما إذا حصل الجزم واليقين بأن التدارك ممتنع، وجبر ذلك النقصان متعذر فههنا يعظم الحزن ويقوى البلاء جداً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} والمعنى أن الوصلة الحاصلة بين النفس والجسد قد تقطعت ولا سبيل إلى تحصيلها مرة أخرى. وعند الوقوف على حقائق هذه المراتب يظهر أنه لا بيان فوق هذا البيان في شرح أحوال هؤلاء الضالين. "

ويرى القُرطبيُّ أنَّ المقصودَ من قولهِ تعالى (وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ) أي أعطيناكم وملكناكم، والخول: ما أعطاه الله للإنسان من العبيد والنِّعمِ. (وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) أي: خلفكم ١٠٢.

ويرى أبو حيَّان الأندلسيُّ أنَّ المقصودَ من الآية هو: ما تفضَّلنا بهِ عليكم في الدُّنيا يتركونه ولا ينتفعون بهِ في الآخرةِ ١٠٣. ويرى صاحبُ (التَّحرير والتَّنوير) أنَّ المقصود بالتَّخويلِ: التَّفضل بالعطاء، وأنَّ أصلَهُ إعطاء الخَوَل بفتحتين وهو الخَدمُ، أي إعطاء العبيد، وأنَّهُ استُعمِلَ مجازاً في إعطاءِ مطلق ما ينفع، أي تركتم ما أنعمنا عليكم من مالٍ وغيرهِ. و (ما) موصولةٌ ومعنى تركهم إيَّاه وراء ظهورهم بُعدُهم عنه تمثيلاً لحالِ البعيدِ عن الشَّيءِ بمَن بارحهُ سائراً، فهو يتركُ مَن يُبارحُهُ وراءه حينَ مُبارحته لأنَّهُ لو سارَ وهو بينَ يديهِ لبلغ إليه ولذلك يُمثِّل القاصد للشَّيءِ بأنَّهُ بينَ يديهِ ويُقالُ للأمرِ الَّذي يهيئه المرءُ لنفسهِ قد قدَّمه... ١٠٤

* التَّوجيه النَّحوي للآية:

يظهرُ هذا التَّوجيهُ النَّحويُّ عند صاحب (الدُّر المصون) حيثُ يظهرُ أثرُ الإعراب في التَّوجيهِ الدَّلالي لـ (وراء)، قالَ: ١٠٥" قوله: {وَتَرَكْتُمْ} فيها وجهان، أحدهما: أنها في محل نصب على الحال من فاعل "جِئْتُمونا"، و "قد" مضمرة على

رأيٍ، أي: وقد تركتم. والثاني: أنها لا محلَّ لها لاستئنافها، و "ما" مفعولة بـ "ترك"، و "مَنْ" موصولة اسمية، ويضعفُ جَعْلُها نكرة موصوفة والعائد محذوف أي: ما خوَّلْناكموه، و "ترك" هنا متعدية لواجد لأنها بمعنى التخلية، ولو ضُمِّنَتْ معنى صيَّر تَعَدَّت لاثنين، و "خَوَّل" يتعدى لاثنين لأنه بمعنى أعطى ومَلَّك.والخَوَل: ما أعطاه الله من النِّعَمِ، قال أبو النجم:

كُومُ الذُّرَى من خَوَلِ المُخَوَّلِ

فمعنى خَوَّلْته كذا: مَلَّكته الخَوَل فيه، كقولهم: مَوَّلته أي: مَلَّكته المال، وقال الراغب: "والتخويل في الأصل: إعطاء الخَوَل، وقيل: إعطاء ما يصير له خَوَلاً، وقيل: إعطاء ما يَحتاج أن يتعهده، من قولهم: فلانٌ خالُ مالٍ وخائل مال، أي: حسن القيام عليه".

وقوله: {وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} متعلق "بتَرَكْتُم" ويجوز أن يضمَّن "ترك" هنا معنى صَيَّر فيتعدَّى لاثنين أولهما الموصول، والثاني: هذا الظرف فيتعلَّق بمحذوف أي: وصيَّرتم الترك الذي خوَّلناكموه كائناً وراء ظهوركم."

وقال الطَّاهرُ بن عاشور: ".(وتَركتم) عطف على (جئتمونا) وهو يبيّن معنى (فرادى) إلاّ أنّ في الجملة الثّانية زيادة بيان لمعنى الانفراد بذكر كيفية هذا الانفراد لأنّ كلا الخبرين مستعمل في التّخطئة والتّنديم، إذ جاءوا إلى القيامة وكانوا ينْفون ذلك المجيء وتركوا ما كانوا فيه في الدّنيا وكان حالهم حال من ينوي الخلود. فبهذا الاعتبار عطفت الجملة ولم تفصل. وأبو البقاء جعل الجملة حالاً من الواو في (جئتمونا) فيصير ترك ما خوّلوه هو محلّ التّنكيل. "١٠٦

ويظهرُ أثرُ الإعراب في التَّوجيه الدَّلالي لـ (وراء) في الآية عند الشَّيخ الدَّرويش، حيثُ قالَ: " (وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) يجوزُ في الواوِ أن تكونَ استئنافيةً، أو حاليَّةً، والجُملةُ إمَّا استئنافيَّةٌ لا محلَّ لها، أو في محلِّ نصبٍ على الحالِ من فاعلِ (جئتمونا) بتقدير: قد، وتركتم فعل وفاعل، وترك هُنا يجوزُ أنَّ تتعدَّى

لواحدٍ لأنَّها بمعنى التَّخليةِ لا التَّصييرِ، أو بمعنى التَّصييرِ فتتعدَّى لمفعولين، أولهما (ما) الموصولةُ، والثَّاني: الظَّرفُ، فتتعلَّقُ بمحذوفٍ أي: وصيرتم بالتَّركِ الَّذي خولناكموه، كائناً وراءَ ظهوركم، وعلى الأوَّلِ يتعلَّقُ بالظَّرفُ بتركتم. " ١٠٧

ـ ويأتي تحت هذا المعنى قوله تعالى:

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...] {الأحزاب:٥٣}

– ويأتي تحت هذا المعنى قوله تعالى:

[وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ] {الشُّورى:٥١}

وقوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] {الحجرات:٤}

وقوله تعالى [لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ] {الحشر:١٤} ١٠٨

وقوله تعالى[وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ] {الانشقاق:١٠} [فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا] {الانشقاق:١١}

وقوله [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ] {النساء:١٠٢}

المبحث الرّابع: وراء بمعنى بعد وخلف ١٠٩:

قالَ تعالى: [وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ] {هود: ٧١}

* التَّوجيه الدَّلالي:

ذهبَ الفرَّاءُ إلى أنَّ (وراء) في هذه الآية بمعنى (ولد الولد) حيثُ قالَ: " ويعقوبُ ها هُنا ولدُ الولد " ١١٠. وذكر الطَّبريُّ أنَّ الوراء في كلام العرب هو ولدُ الولد، وأنَّ معنى وراء ها هنا خلف حيثُ قالَ: ١١١" يقول تعالى ذكره: فبشَّرنا سارَة امرأة إبراهيم ثوابًا منا لها على نَكيرها وعجبها من فعل قوم لوط (بإسحاق)، ولدًا لها (ومن وراء إسحاق يعقوب)، يقول: ومن خلف إسحاق يعقوب، من ابنها إسحاق. و"الوراء" في كلام العرب، ولد الولد، وكذلك تأوَّله أهل التأويل....عن عامر قال:(ومن وراء إسحاق يعقوب)، قال: الوراء: ولد الولد.... حدثني أبو اليسع إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الأشعري، قال: كنت إلى جنب جدي أبي المغيرة بن مهران، في مسجد عليّ بن زيد، فمر بنا الحسنُ بن أبي الحسن فقال: يا أبا المغيرة من هذا الفتى؟ قال: ابني من ورائي، فقال الحسن:(فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)....عن الشعبي في قوله:(فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)، قال: ولد الولد هو "الوراء"....عن عامر في قوله:(ومن وراء إسحاق يعقوب)، قال: "الوراء"، ولد الولد....أبو عمرو الأزدي قال: سمعت الشعبي يقول: ولد الولد: هم الولد من الوَراء.... عن حبيب بن أبي ثابت قال: جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال: من هذا معك؟ قال: هذا ابن ابني. قال: هذا ولدُك من الوراء! قال: فكأنه شقَّ على ذلك الرجل، فقال ابن عباس: إن الله يقول:(فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب)، فولد الولد هم الوراء.... ".

ووراء عند الطَّاهر ابن عاشور بمعنى بعد أو بمعنى خلف حيثُ قالَ ١١٢: " والظَّاهرُ أنَّ وراءَ هنا ظرفٌ استُعمِلَ اسماً غير ظرف بدخول مِن عليه كأنَّهُ قيل: ومِن بعدِ إسحاق، أو مِن خلف إسحاق، وبمعنى بعد.. ". ويرى ابنُ عطيَّة أنَّ ولد الولد يتشابه مع معنى وراء الظَّرف حيثُ قالَ ١١٣: "

وقوله " فبشرناها " أضاف فعل الملائكة إلى ضمير اسم الله تعالى إذ كان بأمره ووحيه وبشر الملائكة سارة " بإسحاق " وبأن إسحاق سيلد يعقوب ويسمى ولد الولد الولد من الوراء وهو قريب من معنى وراء في الظروف إذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده ورأى ابن عباس رجلا معه شاب فقال له من هذا فقال له ولد ولدي فقال هو ولدك من الوراء فغضب الرجل فذكر له ابن عباس الآية."

وذكر الفخرُ الرَّازيُّ قولين في وراء بمعنى بعد، وبمعنى ولد الولد، ورجَّح الأوَّل حيثُ قالَ ١١٤: ": في لفظ وراء قولان: الأول: وهو قول الأكثرين أن معناه بعد أي بعد إسحق يعقوب وهذا هو الوجه الظاهر. والثاني: أن الوراء ولد الولد، عن الشعبي أنه قيل له هذا ابنك، فقال نعم من الوراء، وكان ولد ولده، وهذا الوجه عندي شديد التعسف، واللفظ كأنه ينبو عنه."

وقالَ أبو حيَّان:١١٥ " والظاهر أن وراء هنا ظرف استعمل اسما غير ظرف بدخول من عليه كأنه قيل: ومن بعد إسحاق، أو من خلف إسحاق، وبمعنى بعد، روي عن ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة، وعن ابن عباس أيضا: أن الوراء ولد الولد، وبه قال الشعبي: واختاره أبو عبيدة. وتسميته وراء هي قريبة من معنى وراء الظرف، إذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده. فإن قيل: كيف يكون يعقوب وراء لإسحاق وهو ولده لصلبه، وإنما الوراء ولد الولد ؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: المعنى ومن الوراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب، لأنه قد كان الوراء لإبراهيم من جهة إسحاق، فلو قال: ومن الوراء يعقوب، لم يعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق أم إلى إسماعيل، فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى

ويزول اللبس انتهى. وبشرت من بين أولاد إسحاق بيعقوب، لأنها رأته ولم تر غيره، وهذه البشارة لسارة كانت وهي بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة. وقيل: كان بينهما غير ذلك، وهي أقوال متناقضة.

وهذه الآية تدل على أن إسماعيل هو الذبيح، لأن سارة حين أخدمها الملك الجبار هاجر أم إسماعيل كانت شابة جميلة، فاتخذ إبراهيم هاجر سرية، فغارت منها سارة، فخرج بها وبابنها إسماعيل من الشام على البراق، وجاء من يومه مكة، وانصرف إلى الشام من يومه، ثم كانت البشارة بإسحاق وسارة عجوز محالة، وسيأتي الدليل على ذلك أيضا من سورة والصافات. ويجوز أن يكون الله سماها حالة البشارة بهذين الاسمين، ويجوز أن يكون الاسمان حدثا لها وقت الولادة، وتكون البشارة بولد ذكر بعده ولد ذكر، وحالة الإخبار عن البشارة ذكرا باسمها كما يقول المخبر: إذا بشر في النوم بولد ذكر فولد له ولد ذكر فسماه مثلا عبد الله: بشرت بعبد الله."

* التَّوجيه النَّحوي:

في توجيهه النَّحوي للآيةِ قالَ الفرَّاءُ: " ويعقوبُ ها هُنا ولدُ الولد والنَّصبُ في يعقوب بمنزلة قولِ الشَّاعرِ ١١٦:

جئني بمثلِ بني بدرٍ لقومهم أو ... مثلَ أُسرة منظور بن سيَّار

أو عامرَ بن طُفيل في مُرَكَّبهِ ... أو حارثاً يوم نادى القومُ يا حارِ

وأنشدني بعضُ بني باهلة:

لو جيتَ بالخُبزِ له مُيسَّراً ... والبيضَ مطبوخاً معاً والسُّكَّرا

لم يُرضه ذلك حتَّى يسكرا

فنصب على قولك: وجئتَ بالسُّكَّر، فلمَّا لم يُظهر الفعل مع الواوِ نصب كما تأمر الرَّجلَ بالمرورِ على أخيه فتقول: أخاكَ أخاكَ تُريدُ: امرُرْ بهِ. " ١١٧

و ذكرَ الطَّبريُّ قراءتين في (يعقوب) إحداهما بالرَّفعِ، والأخرى بالنَّصبِ، ورجَّحَ قراءةَ الرَّفعِ، حيثُ قالَ: " واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء العراق والحجاز:(وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ)، برفع "يعقوب "، ويعيد ابتداء الكلام بقوله.(ومن وراء إسحاق يعقوب)، وذلك وإن كان خبرًا لمبتدأ، ففيه دلالة على معنى التبشير. وقرأه بعض قراء أهل الكوفة والشام،(وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب) نصبًا.

فأما الشامي منهما، فذكر أنه كان ينحو ب"يعقوب" نحو النصب بإضمار فعل آخر مشاكل للبشارة، كأنه قال: ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب. فلما لم يظهر "وهبنا" عمل فيه "التبشير" وعطف به على موضع "إسحاق "، إذ كان "إسحاق" وإن كان مخفوضًا، فإنَّه بمعنى المنصوب بعمل "بشرنا"، فيه، كما قال الشاعر:

جِئْنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمِ ... أَوْ مِثْلِ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بنِ سَيَّارِ...

أَوْ عَامِرَ بْنَ طُفَيْلٍ فِي مُرَكَّبِهِ ... أَوْ حَارِثًا، يَوْمَ نَادَى القَوْمُ: يَا حَارِ ١١٨

وأما الكوفي منهما فإنه قرأه بتأويل الخفض فيما ذكر عنه، غير أنه نصبه لأنه لا يجرى. وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم ١١٩. وقالوا: خطأ أن يقال: "مررت بعمرو في الدَّار وفي الدار زيد" وأنت عاطف ب"زيد" على "عمرو"، إلا بتكرير الباء وإعادتها، فإن لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع، وجاز النصب، فإن قُدم الاسم على الصفة جاز حينئذ الخفض، وذلك إذا قلت: "مررت بعمرو في الدار وزيد في البيت". وقد أجاز الخفضَ والصفةُ معترضةٌ بين حرف العطف والاسم، بعضُ نحويي البصرة.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه رفعًا، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، والذي لا يتناكره أهل العلم بالعربية، وما عليه قراءة الأمصار. فأما النَّصب فيه فإن له وجهًا، غير أنِّي لا أحبُّ القراءة

به، لأن كتاب الله نزلَ بأفصح ألسُن العرب، والذي هو أولى بالعلم بالذي نـــزل به من الفصاحة." ١٢٠

– عند الدرويش: قالَ: " وامرأته الواو حاليَّةٌ، أو استئنافيَّةٌ، وامرأته مبتدأ وقائمة خبر، فضحكت فعل ماضٍ، وفاعله هي، فبشرناها عطف أيضا، وهـــو فعـــل وفاعل ومفعول بهِ، وبإسحاق متعلقان ببشرناها، ومن وراء إســـحاق خـــبر مقدَّم، ويعقوب مبتدأ مؤخَّر. " ١٢١

– ويأتي تحت هذا المعنى قوله تعالى:

[وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا] {مريم:٥}

المبحث الخامس: وراء بمعنى النسيان والإعراض والترك ١٢٢:

قالَ تعالى: [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] {هود:٩٢}

* التَّوجيه الدَّلالي:

ذكر ابن جرير الطَّبريُّ في تفسيره لهذه الآية أقوالَ جماعة من الصَّحابة والتَّـــابعين مفادها أنَّ قومَ شعيب عليه الصَّلاة والسَّلام خالفوا أوامره ونواهيه الآتية من قبل اللهِ سبحانه وتعالى وأعرضوا عنها وأهملوها وتركوها خلف ظهرهم حيثُ قالَ: " يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم، أعزّتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله، واستخففتم بربكم، فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تـــأتمرون لأمـــره ولا تخافون عقابه، ولا تعظِّمونه حق عظَمته؟ يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجـــل: "نَبَذ حاجته وراء ظهره" ١٢٣، أي: تركها لا يلتفت إليها. و إذا قضاها قيـــل: "جعلها أمامه، ونُصْب عينيه "، ويقال: "ظَهَرتَ بحاجتي " و"جعلتها ظِهْرِيَّة"، أي: خلف ظهرك، كما قال الشاعر: ١٢٤

وَجَدْنَا بَنِي البَرْصَاءِ مِنْ وَلَدِ الظَّهْرِ ١٢٥

بمعنى: أنهم يَظْهَرون بحوائجِ النّاس فلا يلتفتون إليها.

...عن ابن عباس:(قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعز عليهم من الله، وصَغُر شأن الله عندهم، عزَّ ربُّنا وجلَّ.

...عن ابن عباس:(واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، قال: قَفًا.... عن قتادة:(يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، يقول: عززتم قومكم، وأظهرْتم بربكم.... عن قتادة:(واتخذتموه وراءكم ظهريا)، قال: لم تراقبوه في شيء إنما تراقبون قومي(واتخذتموه وراءكم ظهريا)، يقول: عززتم قومكم وأظهرتم بربكم.... عن قتادة:(واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، قال: لم تراقبوه في شيء، إنما تراقبون قومي (واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، لا تخافونه... عن قتادة في قوله:(أرهطي أعز عليكم من الله)، قال: أعززتم قومكم، واغتررتم بربكم، سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل قال: قال سفيان:

(واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، كما يقول الرجل للرجل: "خلَّفتَ حاجتي خلفَ ظهرك"،(فاتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، استخففتم بأمره. فإذا أراد الرجل قضاء حاجةِ صاحبه جعلها أمامه بين يديه، ولم يستخفَّ بها.

... قال ابن زيد في قوله:(واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، قال: "الظهْريّ"، الفَضْل، مثل الجمّال يخرج معه بإبل ظَهَاريَّة، فضل، لا يحمل عليها شيئًا، إلا أن يحتاج إليها. قال: فيقول: إنما ربكم عندكم مثل هذا، إن احتجتم إليه. وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشيء.

وقال آخرون: معنى ذلك: واتخذتم ما جاء به شعيبٌ وراءكم ظهريًّا فالهاء في قوله:(واتخذتموه)، على هذا من ذكر ما جاء به شعيب....عن مجاهد:(واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، قال: تركتم ما جاء به شعيب... عن مجاهد قال: نبذوا أمره.... عن مجاهد:(واتخذتموه وراءكم ظهريا)، قال: نبذتم أمره.

... عن مجاهد:(واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، قال: هُمْ رهطُ شعيب بتركهم ما جاء به وراء ظهورهم ظهريًّا....عن مجاهد قال (واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، قال: استثناؤهم رهط شعيب، وتركهم ما جاءَ به شعيب وراء ظهورهم ظهريًّا.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لقرب قوله:(واتخذتموه وراءكم ظهريًّا)، من قوله:(أرهطي أعز عليكم من الله) فكانت الهاء في قوله:(واتخذتموه)، بأن تكون من ذكر الله، لقرب جوارها منه، أشبهَ وأولى."

وفسَّر الزَّمخشريُّ الآية دلاليًّاً بقولهِ ١٢٦: " (واتخذتموه وراءكم ظهريًّا) ونسيتموه وجعلتموه كالشَّيءِ المنبوذِ وراءِ الظَّهرِ لا يعبأُ بهِ، والظَّهريُّ منسوبٌ إلى الظَّهرِ والكسرُ من تغيرات النَّسب. ونظيره قولهم في النِّسبةِ إلى أمسِ: أمسي." ويرى صاحبُ (المحرَّر الوجيز) أنَّ الظَّهريَّ الشَّيءُ الَّذي يكونُ وراءَ الظَّهرِ وقد يكونُ الشَّيءُ وراءَ الظَّهرِ بوجهين في الكلام، وقالَ: " وقد يكون الشيء وراء الظهر بوجهين في الكلام إما بأن يطرح كما تقول جعلت كلامي وراء ظهرك ودبر أذنك ومنه قول الفرزدق:

تميم بن زيد لا تكوننن حاجتي بظهر فلا يعيى علي جوابها

وإما بأن يسند إليه ويلجأ. ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه وألجأت ظهري

إليك فقال جمهور المتأولين في معنى هذه الآية انه واتخذتم الله ظهريا أي غير مراعى وراء الظهر على معنى الإطراح ورجحه الطبري.

قال القاضي أبو محمد وهو عندي على حذف مضاف ولا بد وقال بعضهم الضمير في قوله " واتخذتموه " عائد على أمر الله وشرعه إذ يتضمنه الكلام.

وقالت فرقة المعنى أترون رهطي أعز عليكم من الله وأنتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم. قال القاضي أبو محمد فقول الجمهور على أن كان كفر

قوم شعيب جحدا بالله تعالى وجهلا به. وهذا القول الثاني على أنهم كانوا يقرون بالخالق الرازق ويعتقدون الأصنام وسائط ووسائل ونحو هذا وهاتان الفرقتان موجودتان في الكفرة.

ومن اللفظة الاستظهار بالبينة وقد قال ابن زيد الظهري الفضل مثل الجمال يخرج معه بإبل ظهارية يعدها إن احتاج إليها وإلا فهي فضلة قال القاضي أبو محمد هذا كله مما يستند إليه."

ونقل صاحبُ (مفاتيح الغيب) قولَ الزَّمخشريِّ السَّابقَ وذكرَ أنَّ معنى الآيةِ: أنَّكم نسيتموه وجعلتموه كالشَّيءِ المنبوذِ وراءَ الظَّهرِ لا يُعبأ بهِ.١٢٧

* التَّوجيه النَّحوي:

وجَّه العُكبريُّ الآية على النَّحو التَّالي، قوله تعالى (وَاتَّخَذْتُمُوهُ) هي المُتعدِّيةُ إلى مفعولين، و (ظِهْرِيًّا) المفعول الثَّاني. (وَرَاءَكُمْ) يجوزُ أن يكونَ ظرفاً لاتَّخذتم، وأن يكونَ حالاً من ظِهْرِيًّا.١٢٨

وقالَ القُرطبيُّ: " قوله تعالى: (قال يا قوم أرهطى) أرهطي " رفع بالابتداء، والمعنى أرهطي في قلوبكم (أعز عليكم من الله) وأعظم وأجل وهو يملككم.(واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي اتخذتم ما جئتكم به من أمر الله ظهريا، أي جعلتموه وراء ظهوركم، وامتنعتم من قتلي مخافة قومي، يقال: جعلت أمره بظهر إذا قصرت فيه. " ١٢٩

وعند أبي حيَّان الضَّميرُ في واتَّخذتموه يعود على اللهِ تعالى حيثُ قالَ ١٣٠: " والظاهر في قوله: واتخذتموه، أن الضمير عائد على الله تعالى أي: ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به.

ووجَّه السَّمين الحلبي الآية نحويًّا بقولهِ: {وَاتَّخَذْتُمُوهُ}: يجوز أن تكونَ المتعدية لاثنين، أولهما الهاء،

والثاني "ظِهْرِيًّا". ويجوز أنْ يكونَ الثاني هو الظرف و "ظِهْرِياً" حالٌ، وأن تكونَ المتعدية لواحد، فيكون "ظِهْرِيًّا" حالاً فقط. ويجوز في "وراءكم" أن يكونَ ظرفاً للاتخاذ، وأن يكونَ حالاً مِنْ "ظهريًّا"، والضمير في "اتخذتموه" يعود على اللَّه؛ لأنهم – يجهلون صفاتِه، فجعلوه – أي: جعلوا أوامره – ظِهْرِيًّاً، أي: منبوذَةً وراء ظهورهم."

ووجَّه الطَّاهرُ ابن عاشور الآية دلاليًّاً ونحويًّاً وبلاغيًّاً على النَّحوِ الآتي: " لّما أرادوا بالكلام الذي وجّهوه إليه تحذيره من الاستمرار على مخالفة دينهم، أجابهم بما يفيد أنه لم يكن قط معوّلاً على عزة رهطه ولكنّه متوكّل على الله الذي هو أعزّ من كل عزيز، فالمقصود من الخَبَر لازمه وهو أنّه يعلم مضمون هذا الخبر وليس غافلاً عنه، أي لقد علمتُ مَا رهطي أغلب لكم من الله فلا أحتاج إلى أن تعاملوني بأنّي غيرُ عزيز عليكم ولا بأنّ قرابتي فئة قليلة لا تعجزكم لو شئتم رجمي.

وإعادة النداء للتّنبيه لكلامه وأنه متبصّر فيه. والاستفهام إنكاريّ، أي الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأنّ الله ناصره لأنّه أرسله فعزّته بعزّة مُرسله. وجملة (واتّخذتموه وراءَكم ظِهرياً) في موضع الحال من اسم الجلالة، أي الله أعز في حال أنكم نسيتم ذلك. والاتّخاذ: الجعل، وتقدّم في قوله: (أتتّخذ أصْناماً آلهةً) في سورة الأنعام (٧٤).

والظِهريّ بكسر الظاء نسبة إلى الظهر على غير قياس، والتغييرات في الكلم لأجل النسبة كثيرة. والمراد بالظهريّ الكناية عن النسيان، أو الاستعارة لأن الشيء الموضوع بالوراء ينسى لقلة مشاهدته، فهو يشبه الشيء المجعول خلف الظهر في ذلك، فوقَع) ظهريّاً (حالاً مؤكّدة للظرف في قوله: (وراءكم (إغراقاً في

معنى النسيان لأنّهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته."

١٣١

المبحث السّادس: وراء بمعنى قُدّام وأمام

قالَ تعالى: [أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا] {الكهف:٧٩}

التَّوجيه الدَّلالي ١٣٢:

تركَّزت أقوالُ العُلماءِ في هذه الآية حولَ قولهِ تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) وجاءت التَّوجيهاتُ الدَّلاليَّة على النَّحوِ التَّالي: ذكرَ صاحبُ (مجاز القُرآن) أنَّ وراءَ هُنا بمعنى: بينَ أيديهم وأمامهم، واستشهدَ بقولِ الشَّاعرِ:

أترجو بني مروان سمعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفلاةُ من ورائيا.١٣٣

أي: أمامي. ١٣٤

و يرى الطَّبريُّ أنَّ (وراء) في هذه الآية بمعنى أمام وقُدَّام، واعترض على مَن زعم أنَّ وراء من الأضَّدادِ، حيثُ قالَ ما نصُّه ١٣٥: " وقوله:(وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) وكان أمامهم وقُدّامهم ملك.

... عن قتادة:(وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) قال قتادة: أمامهم، ألا ترى أنه يقول:(مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) وهي بين أيديهم.... عن قتادة، قال: كان في القراءة: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا. وقد ذُكر...عن ابن عباس أنه قرأ ذلك: وكان أمامهم ملك.

قال أبو جعفر: وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب "وراء" من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر:

أيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعي وطاعَتِي ... وَقَوْمي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائِيَا١٣٦

بمعنى أمامي. وقد أغفل وجهَ الصَّواب في ذلك. وإنما قيل لما بين يديه: هو ورائي، لأنك من ورائه، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك، فصار: إذ كان ملاقيك، كأنه من ورائك وأنت أمامه.

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك: هو ورائي، ولا إذا كان وراءك أن يقال: هو أمامي، ويقول: إنما يجوزُ ذلك في المواقيتِ من الأيَّام والأزمنةِ كقول القائل: وراءك بردٌ شديدٌ، وبين يديك حرٌّ شديدٌ، لأنَّك أنت وراءه، فجاز لأنَّه شيء يأتي، فكأنَّه إذا لحقك صار من ورائك، وكأنَّك إذا بلغته صار بين يديك. قال: فلذلك جاز الوجهان."

وهي عند أبي جعفر النَّحَّاس بمعنى (أمام) حيثُ قالَ ١٣٧: " أكثرُ أهلِ التَّفسيرِ يقولُ: وراء بمعنى قُدَّام. قالَ أبو إسحاق: وهذا جائزٌ لأنَّ وراءَ مُشتقَّةٌ مِن تَوارَى، فمَا تَوارَى عنك فهو وراءُك كانَ أمامكَ أم خلفَكَ فيجبُ على قولِ أبي إسحاق أن يكونَ وراءُ ليسَ من ذواتِ الهمزةِ وأن لا يُقالُ في تصغيره: وريئة وزعمَ الفرَّاءُ أنَّهُ لا يُقالُ لرجلٍ أمامك: هو وراءُك، ولا لرجلٍ خلفَكَ: هو بينَ يديكَ، وإنَّما يُقالُ ذلك في المواقيتِ مِنَ الليلِ والنَّهارِ والدَّهرِ. يُقالُ: بينَ يديكَ بردٌ، وإن كان لم يأتك، ووراءك بردٌ، وإن كان بينَ يديك لأنَّهُ إذا لحقك صارَ وراءك. "

وهي عند الزَّمخشريِّ بمعنى (أمام) حيثُ قالَ: ١٣٨" (وَرَاءهُم) أمامهم، كقوله تعالى: (مّن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) (المؤمنون: ١٠٠) وقيل: خلفهم، وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره، فأعلم الله به الخضر وهو (جلندي). "

ويرى ابنُ عطيَّة أنَّ (وراء) في هذا الآية على بابها وعلَّل قوله بالنَّصِّ الآتي ١٣٩: " وقوله " وكان وراءهم ملك " قال قوم معناه أمامهم وقالوا وراء من الأضداد وقرأ ابن جبير وابن عباس وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة وقرأ عثمان بن عفان وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة.

قال القاضي أبو محمد وقوله " وراءهم " هو عندي على بابه وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجيء مراعىً بها الزمن وذلك أنَّ الحادثَ المقدَّمَ الوجود هو الإمامُ وبين اليد لما يأتي بعده في الزمن والذي يأتي بعد هو مكررة الوراء وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر ببادي الرأي وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الآية معناها أن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك ومن قرأ أمامهم أراد في المكان أي أنهم كانوا يسيرون إلى بلده وقوله تعالى في التوراة والإنجيل إنها بين يدي القرآن مطرد على ما قلنا في الزمن وقوله " من وراءهم جهنم " مطرد كما قلنا مراعاة الزمن وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة أمامك يريد في المكان وإلا فكونهم في ذلك الوقت كان أمام الصلاة في الزمن وتأمل هذه المقالة فإنها مريحة من شغب هذه الألفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري " وكان وراءهم ملك " قال قتادة أمامهم ألا ترى أنه يقول " من وراءهم جهنم " وهي بين أيديهم.

وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن أبي الحسن يضج منها قاله الزجاج ويجوز إن كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة وقيل اسم هذا الغاصب هدد بن بدد وقيل اسمه الجلندا وهذا كله غير ثابت وقوله " كل سفينة " عموم معناه الخصوص في الجياد منها الصحاح المارة به. "

وذكر الفخر الرَّازي في (وراء) قولين،إذ قالَ ١٤٠: " لفظ الوراء على قوله: {وَكَانَ وراءهم} فيه قولان:

الأول: أن المراد منه وكان أمامهم ملك يأخذ، هكذا قاله الفراء وتفسيره قوله تعالى: {مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ } (الجاثية: ١٠) أي أمامهم، وكذلك قوله تعالى: {وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا} (الإنسان: ٢٧) وتحقيقه أن كل ما غاب عنك فقد توارى عنك وأنت متوار عنه، فكل ما غاب عنك فهو

وراءك وأمام الشيء وقدامه إذا كان غائباً عنه متوارياً عنه فلم يبعد إطلاق لفظ وراء عليه.

والقول الثاني: يحتمل أن يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع السفينة عليه. "

وذكرَ القرطبيُّ أنَّ أصلَ (وراء) خلف، وذكرَ أنَّ أكثر المفسِّرين على أنَّ معنى (وراء) في هذه الآية بمعنى (قُدَّام) وذكر رأى مجموعة من العلماء سردَ أقوالهم في النَّصِّ التَّالي: " و (وراء) أصلها بمعنى خلف، فقال بعض المفسرين: إنه كان خلفه وكان رجوعهم عليه.

والأكثر على أن معنى (وراء) هنا أمام، يعضده قراءة ابن عباس وابن جبير " وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ".١٤١

قال ابن عطية: ١٤٢"... وقال الماوردي: اختلف أهل العربية في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقوال: أحدها – يجوز استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد قال الله تعالى: " من ورائهم جهنم " [الجاثية: ١٠] أي من أمامهم: وقال الشاعر:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا

يعني أمامي.

والثاني – أن وراء تستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأنَّ الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها.

الثالث – أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ولا يجوز في غيرهما، وهذا قول علي بن عيسى. "

ويرى أبو حيَّان ١٤٣: أنَّ وراءَ لفظٌ يُطلقُ على الخلفِ وعلى الأمامِ، وقال إنَّ معناها هُنا أمامهم...

وذكر قولَ ابن عطيَّة السَّابق: " وقوله (وراءهم) عندي هو على بابه،... قال الفراء: لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والدهر تقول: وراءك برد شديد، وبين يديك برد شديد جاز الوجهان لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. قال: إنما جاز هذا في اللغة لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك.

وقال أبو علي: إنما جاز استعمال وراء بمعنى أمام على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى إذا لم يرد معنى المواجهة، ويجوز ذلك في الأجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر، وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد انتهى.

وذكر السَّمين الحلبي:ما نصُّه: ١٤٤" قوله: {وَرَاءَهُم مَّلِكٌ} "وراء" هنا قيل: يُراد بها المكانُ. وقيلَ: الزمانُ. واخْتُلِف/ أيضاً فيها: هل هي على حقيقتِها أو بمعنى أمام؟ وأنشدوا على هذا الثاني:

أليس ورائي أَنْ أَدِبَّ على العَصا فَيَأْمَنَ أعدائي ويَسْأَمَني أَهْلي

وقولَ لبيد:

أليس ورائي إنْ تراخَتْ مَنِيَّتي لُزومُ العَصا تُحْنَى عليها الأصابعُ

وقول سَوَّار بن المُضَرِّب السَّعْدي:

أَيَرْجُو بنو مروانَ سَمْعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفلاةُ ورائيا

ومثله قولُه تعالى: {مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ} أي: بين يديه."

وعند ابن عاشور ما يلي: " و(وراءَ) اسم الجهة التي خلفَ ظهر من أضيف إليه ذلك الاسم، وهو ضد أمام وقدّام.ويستعار (الوراء) لحال تعقب شيء شيئاً وحال ملازمة طلب شيء شيئاً بحق وحال الشيء الذي سيأتي قريباً، كلّ ذلك تشبيه

بالكائن خلف شيء لا يلبث أن يتصل به كقوله تعالى: (مِن وَرَائِهِم جَهَـنَّمُ) في (الجاثية: ١٠)....

وبعض المفسرين فسروا (وَرَاءَهُم مَّلِكٌ) بمعنى أمامهم ملك، فتوهم بعض مـدوني اللغة أن (وراء) من أسماء الأضداد، وأنكره الفراء وقال: لا يجوز أن تقول للذي بين يديك هو وراءك، وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي تقول: وراءك بَـرد شديد، وبين يديك بَرد شديد. يعني أنّ ذلك على المجاز. قال الزجاج: وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللّغة. "

ويرى الدَّرويشُ أنَّ وراء في هذه الآية بمعنى أمام حيثُ قالَ: " وراء لفظٌ يُطلـقُ على الخلفِ وعلى الأمامِ، ومعناها هُنا أمامهم، وكونُ وراءهم بمعنى أمامهم قول قتادة... وأكثرُ أهلِ اللُّغةِ على أنَّ وراء من الأضدادِ. " وأنا أتَّفقُ مـع جمهـور العُلماءِ الَّذين يقولون إنَّ وراءَ من الأضدادِ.

* التَّوجيه النَّحويُّ:

نجدُ التَّوجيهَ النَّحويَّ لهذهِ الآيةِ عند الشَّيخِ الدَّرويش، حيثُ قـالَ: " ووراءهـم ظرفٌ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ خبر مُقدَّم، وهو بمعنى أمام، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى خلـف، وملك اسمُ كانَ المؤخَّرِ،..."

ويأتي تحت هذا المبحث:

قوله تعالى: [مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ] {إبراهيم:١٦}

* التَّوجيه الدَّلالي ١٤٥:

دارت أقوالُ العُلماءِ في هذه الآية حولَ قولهِ تعالى: (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) وجـاءت توجيهاتُهم الدَّلاليَّة على النَّحو التَّالي: إذ يرى صاحبُ (مجاز القرآن) أنَّ وراء في هذه الآية بمعنى قُدَّام وأمام، حيثُ قالَ ما نصُّه ١٤٦: " (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ) مجازه قُدَّامه وأمامه، يُقالُ إنَّ الموتَ من ورائك أي: قُدَّامك، وقالَ:

أتوعدني وراءَ بني رياح كذبتَ لتقصرنَّ يداك دوني.

أي: قُدَّام بني رياحٍ وأمامهم، وهم دوني: أي بيني وبينك، وقالَ:
أترجو بني مروان سمعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفلاةُ من ورائيا."
ويرى الطَّبريُّ أنَّ وراء في هذه الآية بمعنى أمام، حيثُ قالَ ١٤٧: " يقول عزّ ذكره:(من ورائه)، من أمام كل جَبار(جهنم)، يَرِدُونها.
و "وراء" في هذا الموضع، يعني أمام، كما يقال: "إن الموت مِنْ ورائك"، أي قُدّامك، وكما قال الشاعر:

أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ ... كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي ١٤٨

يعني: "وراء بني رياح"، قدَّام بني رياح وأمَامهم.
وكان بعض نحويِّي أهل البَصرة يقول: إنما يعني بقوله:(من ورائه)، أي من أمامه، لأنه وراءَ ما هو فيه، كما يقول لك: "وكلّ هذا من ورائك": أي سيأتي عليك، وهو من وراء ما أنت فيه، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه. وقال:(وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [سورة الكهف: ٧٩]، من هذا المعنى، أي كان وراء ما هم فيه أمامهم.
وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: أكثر ما يجوزُ هذا في الأوقات، لأن الوقت يمرُّ عليك، فيصير خلفك إذا جزته، وكذلك(كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ)، لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم.وكان بعضهم يقول: هو من حروف الأضداد، يعني وراء يكون قُدَّامًا وخلفًا. وقوله:(ومن وَرائه عَذَابٌ غليظ)، يقول: ومن وراء ما هو فيه من العذاب = يعني أمامه وقدامه عذاب غليظ). "
ويرى الزَّمخشريُّ أنَّها بمعنى (بين يديه) واستشهد بقولِ الشَّاعرِ:

عَسى الكربُ الَّذي أمسيْتُ فيهِ يكونُ وراءه فرجٌ قريبُ ١٤٩

قالَ:١٥٠ " وهذا وصفُ حاله وهو في الدُّنيا، لأنَّهُ مرصد لجهنَّم، فكأنَّها بينَ يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حينَ يبعث ويوقف... (ومِنْ وَرَائِهِ) ومِن بينَ يديهِ (عذاب غليظ) أي في كُلِّ وقتٍ يستقبله يتلقَّى عذاباً أشدَّ

مما قبله وأغلظ. وعن الفُضيل: هو قطعُ الأنفاسِ وحبسُها في الأجسادِ. ويُحتملُ أن يكونَ أهلُ مكَّةَ قد استفتحوا أي استمطروا والفتحُ في سني القحطِ الَّتي أرسلت عليهم بدعوةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فلم يُسقوا، فذكرَ سبحانه ذلك، وأنَّهُ خيب رجاءَ كُلِّ جبَّارٍ عنيدٍ وأنَّهُ يُسقى في جهنَّمَ بدل سُقياه ماء آخر، وهو صديدُ أهلِ النَّارِ. "

هذا وقد اعترض ابنُ عطيَّة على الطَّبري وغيره من المفسِّرين الَّذينَ يرون أنَّ وراء في هذه الآية بمعنى أمام، إذ قالَ ما نصُّه: " وقوله " من ورائه " ذكر الطبري وغيره من المفسرين أن معناه من أمامه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى " وكان وراءهم ملك " وأنشد الطبري:

أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ ... كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي

قال القاضي أبو محمد وليس الأمر كما ذكر، والوراء هنا على بابه ؛ أي هو ما يأتي بعد في الزمان، وذلك أن التقدير في هذه الحوادث بالأمام والوراء إنما هو بالزمان، وما تقدم فهو أمام وهو بين اليد كما تقول في التوراة والإنجيل إنَّهما بين يدي القرآن والقرآن وراءهما على هذا وما تأخر في الزمان فهو وراء المتقدم ومنه قولهم لولد الولد الوراء وهذا الجبار العنيد وجوده وكفره وأعماله في وقت ما ثم بعد ذلك في الزمان يأتيه أمر جهنم. قال القاضي أبو محمد وتلخيص هذا أن يشبه الزمان بطريق تأتي الحوادث من جهته الواحدة متتابعة فما تقدم فهو أمام وما تأخر فهو وراء المتقدم وكذلك قوله " وكان وراءهم " أي غصبه وتغلبه يأتي بعد حذرهم وتحفظهم. "

وناقش صاحبُ (مفاتيح الغيب) مسألة إطلاق لفظ الوراء على القُدَّام والأمام وذكرَ عدَّة وجوه في هذا جاءت في نصِّه التَّالي: ١٥١ " واعلم أنه تعالى لما حكم عليه بالخيبة ووصفه بكونه جباراً عنيداً، وصف كيفية عذابه بأمور: الأول: قوله:

{مِّن وَرَاءِه جَهَنَّمُ} وفيه إشكال وهو أن المراد: أمامه جهنم، فكيف أطلق لفظ الوراء على القدام والأمام ؟ وأجابوا عنه من وجوه:

الأول: أن لفظ "وراء" اسم لما يوارى عنك، وقدام وخلف متوار عنك، فصح إطلاق لفظ "وراء" على كل واحد منهما. قال الشاعر:

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه يكون وراءه فرجٌ قريب

ويقال أيضاً: الموت وراء كل أحد.

الثاني: قال أبو عبيدة وابن السكيت: الوراء من الأضداد يقع على الخلف والقدام، والسبب فيه أن كل ما كان خلفاً فإنه يجوز أن ينقلب قداماً وبالعكس، فلا جرم جاز وقوع لفظ الوراء على القدام، ومنه قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ} (الكهف: ٧٩) أي أمامهم، / ويقال: الموت من وراء الإنسان.

الثاني: قال ابن الأنباري "وراء" بمعنى بعد. قال الشاعر: وليس وراء الله للمرء مذهب أي وليس بعد الله مذهب.إذا ثبت هذا فنقول: إنه تعالى حكم عليه بالخيبة في قوله: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}. ثم قال: {وَمِن وراءه عَذَابٌ غَلِيظٌ} أي ومن بعده الخيبة يدخل جهنم. "

وأنا أتَّفقُ مع الفخر الرَّازيِّ فيما ذهبَ إليه.

وهي عند القُرطبيِّ بمعنى من بعد، إذ قالَ: " قوله تعالى: (من ورائه جهنم) أي من وراء ذلك الكافر جهنم، أي من بعد هلاكه. ووراء بمعنى بعد، قال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

أي بعد الله جل جلاله، وكذلك قول تعالى: " ومن ورائه عذاب غليظ " أي من بعده، وقوله تعالى: " ويكفرون بما وراءه " (البقرة: ٩١)

ويرى السَّمينُ الحلبيُّ أنَّها على بابِها، إذ قالَ: ١٥٢" و "وراء" هنا على بابِها. وقيل: بمعنى "أمام" فهو من الأضداد، وهذا عنى الزَّمخشري بقوله: "من بين يديه" وأنشد:

عَسَى الكربُ الذي أَمْسَيْتُ فيه يكون وراءَه فَرَجٌ قريبُ

وهو قولُ أبي عبيدة، وقطرب، وابن جرير. وقال الآخَرُ في ذلك:

أيَرْجُو بنو مروانَ سَمْعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفلاةُ ورائِيا

أي: قُدَّامي. وقال آخر:

أليس ورائي إنْ تراخَتْ مَنِيَّتي لُزومُ العَصَا عليها أَصابعُ

وقال ثعلب: "هو اسمٌ لِما توارَى عنك، سواءً كان خلفَكَ أم قدَّامك". "

وعند الطَّاهر بن عاشور بمعنى ما ينتظره ويحلُّ بهِ من بعد، إذ قالَ:١٥٣ " وقوله: (من ورائه جهنم)صفة ل (جبار عنيد)، أي خاب الجبّار العنيد في الدنيا وليس ذلك حظه من العقاب بل وراءه عقاب الآخرة.

والوراء: مستعمل في معنى ما ينتظره ويحل به من بعد، فاستعير لذلك بجامع الغفلة عن الحصول كالشيء الذي يكون من وراء المرء لا يشعر به لأنه لا يراه، كقوله تعالى: (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً (سورة الكهف: ٧٩)، أي وهم غافلون عنه ولو ظفر بهم لافتك سفينتهم، وقول هدبة بن خشرم: عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكن وراءَه فَرج قريب وأما إطلاق الوراء على معنى من بَعْد (فاستعمال آخر قريب من هذا وليس عينه.

والمعنى: أن جهنم تنتظره، أي فهو صائر إليها بعد موته."

وهي عند الشَّيخ الدَّرويش بمعنى بينَ يديه، أي من أمامه ومن خلفه... ١٥٤

* التَّوجيه النَّحويُّ:

وجَّه الطَّبريُّ الآيةَ نحويَّاً بقولهِ: ١٥٥" وكان بعض نحويِّي أهل البَصرة يقول: إنما يعني بقوله:(من ورائه)، أي من أمامه، لأنه وراءَ ما هو فيه، كما يقول لك: "وكلّ هذا من ورائك": أي سيأتي عليك، وهو من وراء ما أنت فيه، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه. وقال:(وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [سورة الكهف: ٧٩]، من هذا المعنى، أي كان وراء ما هم فيه أمامهم.

وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: أكثر ما يجوزُ هذا في الأوقات، لأن الوقت يمرُّ عليك، فيصير خلفك إذا جزته، وكذلك(كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ)، لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم.وكان بعضهم يقول: هو من حروف الأضداد، يعني وراء يكون قُدَّامًا وخلفًا. وقوله:(ومن وَرائه عَذَابٌ غليظ)، يقول: ومن وراء ما هو فيه من العذاب، يعني أمامه وقدامه عذاب غليظ). "

ووجَّه الزَّمخشريُّ الآية نحويًّاً بقولهِ: ١٥٦" (مِّن وَرَائِهِ) من بين يديه. قال:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيه يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا، لأنه مرصد لجهنم، فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف، فإن قلت: علام عطف (وَيُسْقَى) ؟ قلت: على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقي من ماء صديد، كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله: (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيّتٍ). فإن قلت: ما وجه قوله تعالى (مِن مَّاء صَدِيدٍ) ؟ قلت: صديد عطف بيان لماء، قال: (وَيُسْقَى مِن مَّاء) فأبهمه إبهاماً ثم بينه بقوله) صَدِيدٍ (وهو ما يسيل من جلود أهل النار (يَتَجَرَّعُهُ) يتكلف جرعه (وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ) دخل كاد للمبالغة. يعني: ولا يقارب أن يسيغه، فكيف تكون الإساغة، كقوله: (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) (النور: ٤٠) أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلّ مَكَانٍ) كأنّ أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات، تفظيعاً لما يصيبه من الآلام. وقيل:) مّن كُلّ مَكَانٍ (من جسده حتى من إبهام رجله. وقيل: ن أصل كل شعرة (وَمِن وَرَائِهِ) ومن بين يديه (عَذَابٍ غَلِيظٍ) أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشدّ مما قبله وأغلظ. "

ووجَّه السَّمينُ الحلبيُّ الآية نحويًّاً بقولهِ: ١٥٧" و {مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ}: جملةٌ في محل جَرٍّ صفةً لـ "جبارٍ". ويجوز أَنْ تكونَ الصفةُ وحدَها الجارِّ، و "جهنمُ" فاعلٌ

به. وقوله: "ويُسْقَى" صفةٌ من الجارِّ وحدَه، وعَلَّقْته بفعلٍ كان من عطفِ فعليةٍ على فعلية. وقيل: عطفٌ على محذوفٍ، أي: يُلْقَى فيها ويُسْقَى.

و "وراء" هنا على بابها. وقيل: بمعنى "أمام" فهو من الأضداد...

وقال ثعلب: "هو اسمٌ لِما توارَى عنك، سواءً كان خلفَكَ أم قدَّامك". لـ" ماء" وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه على حَذْفِ أداة التشبيه، أي: ماءٍ مثلِ صديد، وعلى هذا فليس الماءُ الذي يَشْرَبونه صَديداً، بل مثلُه. والثاني: أنَّ الصديدَ لَمَّا كان يُشبه الماءَ أُطْلِقَ عليه ماءٌ، وليس هو ماءً حقيقةً، وعلى هذا فيكونون يشربون نفسَ الصديد المُشْبِهِ للماء. وهو قول ابن عطية. وإلى كونه صفةً ذَهَبَ الحوفيُّ وغيره. وفيه نظرٌ؛ إذ ليس بمشتقٍ، إلا على مَنْ فسَّره بأنه صَدِيدٌ بمعنى مَصْدود، أخذه مِن الصَّدِّ، فكأنه لكراهيته مَصْدودٌ عنه، أي: يَمْتنع عنه كلُّ أحدٍ.

الثاني: أنه عطفُ بيانٍ، وإليه ذهب الزَّمخشريُّ، وليس مذهبَ البصريين جريانُه في النكرات، إنما قال به الكوفيون، وتَبعهم الفارسيُّ أيضاً.

الثالث: أن يكونَ بدلاً. وأعري الفارسيُّ "زَيتونةٍ" مِنْ قولِه: "يُوْقَدُ مِنْ شجرةٍ مباركةٍ زَيْتُونةٍ" عطفَ بيان أيضاً."

– ويأتي تحت هذا المعنى قوله تعالى:

[يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ] {إبراهيم:١٧}

وقوله تعالى [لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] {المؤمنون:١٠٠}

وقوله تعالى [وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ مِنْ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] {الجاثية:١٠}

المبحث السَّابع: وراء بمعنى قُدام وخلف:

قالَ تعالى: [إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] {الإنسان:٢٧}

* التَّوجيه الدَّلالي ١٥٨:

تركَّزت أقوالُ العُلماءِ في هذه الآية حولَ قولهِ تعالى (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) وجاءت توجيهاتُهم الدَّلاليَّة على النَّحو الآتي: حيثُ رأي الطَّبريُّ ١٥٩أنَّ معنى الآية: ويدعون خلف ظهورهم العملَ للآخرةِ، وما لهم فيه النَّجاة من عذاب الله يومئذٍ. وقالَ إنَّ بعضَهم تأوله على معنى: ويذرون أمامهم يوماً ثقيلاً. وقالَ: وليسَ ذلك قولاً مدفوعاً، غيرَ أنَّ الَّذي قلناه أشبه بمعنى الكلمةِ... عن سفيان (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) قالَ: الآخرة. ويرى مكي القيسيُّ أنَّ وراءَ بمعنى قُدَّام وأمام، وعلَّل ذلك بقولهِ: ١٦٠" وجاز ذلك في وراء لأنَّها بمعنى التَّواري، فما توارى عنك مما هو أمامك وقُدَّامك وخلفك يُسمَّى وراء لتواريه عنك... ". وعند الزَّمخشريِّ ١٦١(وراءهم) بمعنى قُدَّامهم أو خلف ظهورهم لا يعبأون بهِ. ويرى ابنُ عطيَّة ١٦٢ أنَّ معناها: فيما يأتي من الزَّمنِ بعدَ موتِهم، واستشهدَ بقولِ لبيد بن ربيعة القائل:

أليسَ وَرَائي إن تراخت منيَّتي أدب مع الولدان إن خف كالنِّسر.

وبيَّن الرَّازيُّ ١٦٣ العلَّةَ في قولهِ تعالى (وراءهم) بقولهِ: " وفي الآية سؤالان: السؤال الأول: لم قال: وراءهم ولم يقل: قدامهم ؟

الجواب: من وجوه أحدها: لما لم يلتفتوا إليه، وأعرضوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها: المراد ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل فأسقط المضاف وثالثها: أن تستعمل بمعنى قدام كقوله: {مِّن وراءهم جَهَنَّمُ} (إبراهيم: ١٦) {وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ} (الكهف: ٧٩).

ويرى القُرطبيُّ أنَّ (وراءهم) بمعنى بين أيديهم، حيثُ قالَ ١٦٤: " قوله تعالى: (إن هؤلاء يحبون العاجلة): توبيخ وتقريع، والمراد أهل مكة. والعجلة الدنيا " ويذرون " أي ويدعون " وراءهم " أي بين أيديهم " يوما ثقيلا " أي عسيرا شديدا كما قال: " ثقلت في السموات والأرض " [الأعراف: ١٨٧]. أي يتركون الإيمان بيوم القيامة.وقيل: " وراءهم " أي خلفهم، أي ويذرون الآخرة خلف ظهورهم، فلا يعملون لها.وقيل: " نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته.وحبهم العاجلة: أخذهم الرشا على ما كتموه. وقيل: أراد المنافقين، لاستبطائهم الكفر وطلب الدنيا. والآية تعم. واليوم الثقيل يوم القيامة. وإنما سمي ثقيلا لشدائده وأهواله.وقيل: للقضاء فيه بين عباده. ". ويرى صاحبُ (البحر المحيط) أنَّ معنى (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ): أي أمامهم، وهو ما يستقبلون من الزَّمانِ. (يوماً ثقيلاً): استعير الثِّقلُ لليومِ لشدَّتهِ. وهوله من ثقلِ الجرم الَّذي يتعب صاحبه.

ورأى السَّمينُ الحلبيُّ ١٦٥ أنَّ وراءهم هنا بمعنى قُدَّامهم، وذكر قولاً لمكي بن أبي طالب القيسي، قالَ: " قالَ مكي: سُمِّيَ وراء لتواريه عنك " فظاهرُ هذا أنَّهُ حقيقةٌ، والصَّحيحُ أنَّهُ أستُعيرَ لـ قُدَّام. وقيلَ: بل هو على بابهِ، أي وراء ظهورهم لا يعبأون بهِ. وفيهِ تجوُّزٌ. "

وقال الطَّاهرُ بن عاشور في تفسيره للآية:١٦٦ " إنَّ قوله تعالى: (ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) واقع موقع التكميل لمناط ذمهم وتحميقهم لأنهم لوْ أحبُّوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين قال تعالى حكاية لقول الناصحين لقارون:[وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا] {القصص:٧٧}. وهذا نظير قوله تعالى: [يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ] {الرُّوم:٧} إذ كان مناط الذم فيه هو أن قصروا أنفسهم على علم أمور الدنيا مع الإعراض عن العلم بالآخرة. ومُثلوا بحال من يترك شيئاً

وراءه فهو لا يسعى إليه وإنما يسعى إلى ما بين يديه. وإنما أعرضوا عنه لأنهم لا يؤمنون بحلوله فكيف يسعون إليه. "

وأنا أتَّفقُ مع الطَّبريِّ فيما ذهب إليه وأرى أنَّه الرَّأي الأوجه.

* التَّوجيه النَّحويُّ:

جاءت توجيهات العُلماء لهذه الآية نحويَّاً على النَّحوِ التَّالي: إذ ذكر مكي القيسي أنَّ (يوماً) مفعول بـ يذرون. وذكرَ ابنُ سيده ما نصُّه: " (ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) أي شديداً صعباً وأصلُه أن يتعدَّى بعلى تقول: ثقل عليَّ هذا الأمرُ.... "

وقال ابنُ عطيَّة إنَّ الإشارة بـ " هؤلاءِ " إلى كُفَّارِ قُريش و " العاجلة " الدُّنيا وحُبُّهم لها لأنَّهم لا يعتقدون غيرها " ويذرون وراءهم " معناه فيما يأتي من الزَّمنِ بعد موتهم... وقالَ: ووصف اليومُ بالثِّقلِ على جهةِ النَّسبِ أي ذا ثقلٍ من حيث الثِّقل فيه على الكُفَّارِ فهو كليلٍ نائمٍ... وقالَ صاحبُ (الدُّر المصون): " قوله (يوماً) مفعولٌ بـ " يذرون " لا ظرفٌ، ووصفُه بالثِّقلِ على المجازِ ؛ لأنَّهُ مِنْ صفاتِ الأعيانِ لا المعاني...

وقالَ الشيخ الطَّاهر بن عاشور: " ومُثلوا بحال من يترك شيئاً وراءه فهو لا يسعى إليه وإنما يسعى إلى ما بين يديه. وإنما أعرضوا عنه لأنهم لا يؤمنون بحلوله فكيف يسعون إليه.

وصيغة المضارع في (يذرون) تقتضي أنهم مستمرون على ذلك وأن ذلك متجدد فيهم ومتكرر لا يتخلفون عن ذلك الترك لأنهم لا يؤمنون بحلول ذلك اليوم، فالمسلمون لا يذرون وراءهم هذا اليوم لأنهم لا يَخلُون من عمل له على تفاوت بينهم في التقوى. واليومُ الثقيل: هو يوم القيامة، وُصف بالثقيل على وجه الاستعارة لشدة ما يحصل فيه من المتاعب والكروب فهو كالشيء الثقيل الذي لا يستطاع حمله.

والثقل: يستعار للشدة والعسر قال تعالى: (ثقُلت في السماوات والأرض) (الأعراف: ١٨٧) وقال: (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ((المزمل: ٥). لما كان الإخبار عنهم بأنهم (يذرون وراءهم يوماً ثقيلاً) (الإنسان: ٢٧) يتضمن أنهم ينكرون وقوع ذلك اليوم كما قدمناه وكان الباعث لهم على إنكاره شبهةُ استحالة إعادة الأجسادِ بعد بِلاها وفنائها، وكان الكلام السابق مسوقاً مساق الذم لهم والإنكار عليهم جيء هنا بما هو دليل للإنكار عليهم وإبطال لشبهتهم ببيان إمكان إعادة خلقهم يُعيده الذي خلقهم أول مرّة كما قال تعالى: (فسيقولون من يُعيدنا قُللِ الذي فطركم أول مرة) (الإسراء: ٥١) وغيرِ ذلك من الآيات الحائمة حول هذا المعنى. "

وفي توجيهه لهذه الآية نحويّاً قالَ الدَّرويشُ: ١٦٧"[إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا] الجُملةُ تعليلٌ لِما قبلها من النَّهي والأمرِ، وعبارةُ الشِّهاب الخفاجي: هذا التَّعليلُ لما قبلهِ من النَّهي والأمرِ في قولهِ: ولا تُطع إلى هُنا، فكأنَّهُ قالَ: لا تُطعهم، واشتغل بالأهمِّ من العبادةِ ؛ لأنَّ هؤلاءِ تركوا الآخرةَ للدُّنيا، فاترك أنتَ الدُّنيا، وأهلهَا للآخرةِ، فالأوَّلُ علَّةٌ للنَّهي عن طاعةِ الإثمِ والكفور. والثَّاني: علَّةٌ للأمرِ بالطَّاعةِ، وإن حرفٌ مُشبَّهٌ بالفعلِ، وهؤلاء اسمُ إشارة مبني على الكسرِ في محلِ نصبٍ اسمُها، وجملةُ يُحبُّون خبرُها، والعاجلةُ مفعولٌ بهِ، ويذرون عطفٌ على يُحبُّون، ووراءهم ظرفُ مكانٍ بمعنى قُدَّام مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ حال من المفعولِ مُقدَّمٌ عليهِ، ويوماً مفعولٌ بهِ، وثقيلاً ظرف.. "

المبحث الثامن وراء معنى الإحاطة والقُدرة والسَّيطرة:

قالَ تعالى: [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ] {البروج:١٩} [وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ] {البروج:٢٠}

التَّوجيه الدَّلالي ١٦٨:

دارت أقوالُ العُلماءِ في هذه الآية حولَ قولهِ تعالى: [وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ] وتركَّزت توجيهاتهم على معنى الإحاطة من وراءهم، إذ ذكر الطَّبريُّ أنَّ المقصودَ من قولهِ تعالى [وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ] هُنا: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى محيط بأعمالهم محصٍ لها، لا يخفى عليه شيءٌ منها، وهو مُجازيهم على جميعها ١٦٩.

وقالَ الزَّمخشريُّ ١٧٠ إنَّ الإحاطةَ مِن ورائهم: مثلٌ لأنَّهم لا يفوتونه، كما لا يفوت فائت الشَّيءِ المُحيط بهِ. وقالَ ابنُ عطيَّة إنَّ معنى الآية: ما يأتي بعدَ كفرهم وعصيانهم ١٧١. وذكر الفخرُ الرَّازي في هذه الآية ثلاثةَ وجوهٍ، إذ قالَ ما نصُّه ١٧٢: " قوله: {وَاللّهُ مِن ورائِهم مُّحِيطُ } وفيه وجوه:

أحدها: أن المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم في قبضته وحوزته، كالمحاط إذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه، فلا يجد مهرباً يقول تعالى: فهو كذا في قبضتي وأنا قادر على إهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم إياك فلا تجزع من تكذيبهم إياك، فليسوا يفوتونني إذا أردت الانتقام منهم.

وثانيها: أن يكون المراد من هذه الإحاطة قرب هلاكهم كقول تعالى: {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللّهُ بِهَا } (الفتح: ٢١) وقوله: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنّاسِ } (الإسراء: ٦٠) وقوله: {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ } (يونس: ٢٢) فهذا كله عبارة عن مشارفة الهلاك، يقول: فهؤلاء في تكذيبك قد شارفوا الهلاك.

وثالثها: أن يكون المراد والله محيط بأعمالهم، أي عالم بها، فهو مرصد بعقابهم عليها. "

وفسَّر القُرطبيُّ الإحاطةَ من ورائهم بالقُدرةِ، إذ قالَ ١٧٣: [وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ] أي يقدرُ على أن يُنزِلَ بهم ما أنزلَ بفرعونَ. والمُحاطُ بهِ كالمحصور. وقيلَ: أي عالمٌ بهم فهو يُجازيهم." وكرَّر أبو حيَّان كلامَ القُرطبيِّ. وقالَ إنَّ المُحاطَ بهِ محصورٌ في غايةٍ لا يستطيعُ دفعاً، والمعنى: دنو هلاكهم. ١٧٤

ويرى ابن عاشور أنَّ معنى الآيةِ ١٧٥: تمثيلٌ لحالِ انتظار العذابِ إيَّاهم وهم في غفلةٍ عنه بحالِ مَن أحاطَ بهِ العدوُّ من ورائهِ وهو لا يعلمُ حتَّى إذا رامَ الفرارَ والإفلات وجدَ العدوَّ مُحيطاً بهِ، وليسَ المُرادُ هُنا إحاطة علمه تعالى بتكذيبهم إذ ليسَ له كبير جدوى." وقالَ أيضاً: " وقد قُوبِلَ جزاءُ إحاطة التَّكذيب بهم بإحاطة العذاب بهم جزاءً وفاقاً فقوله: (وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) خبرٌ مُستعملٌ في الوعيدِ والتَّهديدِ. "

* التَّوجيه النَّحويُّ:

وجَّه الطاهرُ بن عاشور الآيتين نحويَّاً بقولهِ ١٧٦: " {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ}.إضراب انتقالي إلى إعراضهم عن الاعتبار بحال الأمم الذين كذبوا الرسل وهو أنهم مستمرون على التكذيب منغمسون فيه انغماس المظروف في الظرف فجعل تمكن التكذيب من نفوسهم كتمكن الظرف بالمظروف. وفيه إشارة إلى أن إحاطة التكذيب بهم إحاطة الظرف بالمظروف لا يترك لتذكر ما حل بأمثالهم من الأمم مسلكا لعقولهم ولهذا لم يقل بل الذين كفروا يكذبون كما قال في سورة الانشقاق.

وحذف متعلق التكذيب لظهوره من المقام إذ التقدير: إنَّهم في تكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالوحي المنزل إليه وبالبعث.

وجملة {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} عطف على جملة {الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ}، أي هم متمكنون من التكذيب والله يسلط عليهم عقابا لا يفلتون منه. فقوله: {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} تمثيل لحال انتظار العذاب إياهم وهم في غفلة عنه بحال من أحاط به العدو من ورائه وهو لا يعلم حتى إذا رام الفرار والإفلات وجد العدو محيطا به، وليس المراد هنا إحاطة علمه تعالى بتكذيبهم إذ ليس له كبير جدوى. "

وفي توجيهه لهذه الآية نحويًّاً وبلاغيًّا قالَ الدَّرويش ١٧٧: " {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} الواو عاطفة، والله مبتدأ، ومن ورائهم مُتعلقانِ بمحيط، ومُحيط خبر الله." وقالَ في باب البلاغة: " في (قولهِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) مجازٌ مُرسلٌ، علاقته الحاليَّةُ ؛ لأنَّ التَّكذيبَ في مكانهِ مجازُ أُطلِقَ فيهِ الحالُ، وأُريدَ المحلُّ، فعلاقته الحاليَّة، وعدل عن يكذبون إلى جعلهم في التَّكذيبِ، وأنَّهُ لشدَّته أحاطَ بهم إحاطةَ البحر بالغريقِ، والسُّوار بالمعصمِ، وفي الوقتِ نفسه جاءَ بالتَّكذيبِ نكرةً للدَّلالةِ على تعظيمه، وتهويلِ أمره."

المبحث التّاسع: وراء بمعنى العودة للخلف في الزّمان والمكان:

قالَ تعالى: [يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ] {الحديد:١٣}

* التَّوجيه الدَّلالي ١٧٨:

تركَّزت أقوالُ العلماءِ في هذه الآية حولَ قولهِ تعالى: (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالتَمِسُوا نُورًا) وجاءت توجيهاتُهم على النَّحو التَّالي: ظاهرُ كلام الطَّبريِّ يدلُّ على أنَّ قوله تعالى ((ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ) ارجعوا بالزَّمن إلى الخلفِ أو إلى الدُّنيا، إذ قالَ: ١٧٩" وقوله:(قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) يقول جلّ ثناؤه: فيجابون بأن يقال لهم: ارجعوا من حيث جئتم، واطلبوا لأنفسكم هنالك نورًا، فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا.... قال ابن عباس: بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإنا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور. "

وعند الزَّمخشري معنى الآية ارجعوا إلى الموقف الَّذي أعطينا فيه النُّور، أو ارجعوا إلى الدُّنيا، أو راجعوا خائبين وتنحَّوا عنَّا، فالتمسوا نوراً آخر، فلا سبيلَ لكم إلى هذا النُّور،وقد علموا أن لا نورَ وراءهم، وإنَّما هو تخييب وإقناط لهم. وقال: إنَّ ذلك طردٌ لهم وتهكُّمٌ بهم.١٨٠

وذكر ابنُ عطيَّة١٨١ أنَّ قوله تعالى (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ) يُحتملُ أن يكونَ من قولِ المؤمنين ويُحتملُ أن يكونَ من قولِ الملائكةِ. وقالَ: والقولُ لهم: (فَالْتَمِسُوا نُورًا) هو على معنى التَّوبيخِ لهم أي أنَّكم لا تجدونه. "

وذكر الفخرُ الرَّازيُّ في هذه الآيةِ ثلاثةَ وجوه جاءت على النَّحو التَّالي ١٨٢: " ذكروا في المراد من قوله تعالى: {قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} وجوهاً أحدها: أن المراد منه: ارجعوا إلى دار الدنيا فالتمسوا هذه الأنوار هنالك، فإن هذه الأنوار إنما تتولد من اكتساب المعارف الإلهية، والأخلاق الفاضلة والتنزه عن الجهل والأخلاق الذميمة، والمراد من ضرب السور، هو امتناع العود إلى الدنيا وثانيها: قال أبو أمامة: الناس يكونون في ظلمة شديدة، ثم المؤمنون يعطون الأنوار، فإذا أسرع المؤمن في الذهاب قال المنافق: {انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} فيقال لهم: {ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} قال: وهي خدعة خدع بها المنافقون، كما قال: {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} (النساء: ١٤٢) فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم فيجدون السور مضروباً بينهم وبين المؤمنين وثالثها: قال أبو مسلم: المراد من قول المؤمنين: {ارْجِعُوا } منع المنافقين عن الاستضاءة، كقول الرجل لمن يريد القرب منه: وراءك أوسع لك، فعلى هذا القول المقصود من قوله: {ارْجِعُوا } أن يقطعوا بأنه لا سبيل لهم إلى وجدان هذا المطلوب البتَّة، لا أنه أمر لهم بالرجوع."

وعند القُرطبي وأبي حيَّان معنى الآية ارجعوا إلى الموضعِ أو إلى الموقفِ الَّذي أُعطينا فيه النُّورَ...١٨٣

وأنا أتَّفقُ مع الفخر الرَّازي فيما ذهب إليه وأرى أنَّهُ الوجه.

* التَّوجيه النَّحويُّ:

جاءت توجيهاتُ العُلماءِ لهذه الآية نحويَّـاً على النَّحوِ التَّالي: إذ ذكر الطَّبريُّ في هذه الآية قراءتين وجَّههما بقولهِ: ١٨٤" يقول تعالى ذكره: هو الفوز العظيم في يوم يقول المنافقون والمنافقات، واليوم من صلة الفوز للذين آمنوا بالله ورسله: انظرونا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله:(انْظُرُونَا)، فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة:(انْظُرُونَا)، موصولة بمعنى انتظرونا، وقرأته عامة قرّاء الكوفة:(أنْظُرُونا) مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى: أخرونا، وذكر الفرّاء أن العرب تقول: أنظرني وهم يريدون. انتظرني قليلا؛ وأنشد في ذلك بيت عمرو بن كلثوم: أبا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا وأنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا١٨٥

قال: فمعنى هذا: انتظرنا قليلا نخبرك، لأنه ليس ها هنا تأخير، إنما هو استماع كقولك للرجل: اسمع مني حتى أخبرك.والصواب من القراءة في ذلك عندي الوصل، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب إذا أريد به انتظرنا، وليس للتأخير في هذا الموضع معنى، فيقال: أنظرونا، بفتح الألف وهمزها."

وذكرَ ابنُ سيده الأندلسيُّ ما يلي ١٨٦: " والظَّاهرُ أنَّ (وراءكم) معمول لارجعوا. وقبلَ: لا محلَّ لهُ من الإعرابِ لأنَّهُ بمعنى ارجعوا، كقولهم: وراءك أوسع لك، أي ارجع تجد مكاناً أوسع لك ". وذكر نفسَ الكلامِ أبو حيَّان الأندلسيُّ.١٨٧ وقال العُكبريُّ ١٨٨: " (انْظُرُونَا) انتظرونا وأنظرونا: أخرونا، (وراءكم) اسمُ الفعلِ فيهِ ضميرُ الفاعلِ: أي ارجعوا ارجعوا، وليسَ بمعروفٍ لقلَّةِ فائدتهِ ؛ لأنَّ الرُّجوعَ لا يكونُ إلاَّ إلى وراءِ. " وقالَ الطَّاهر بن عاشور١٨٩: " و (وراءكم): تأكيدٌ لمعنى

(ارجعوا) إذ الرُّجوعُ يستلزمُ الوراءَ، وهذا كما يُقالُ: رجعَ القهقرى. ويجوزُ أن يكونَ ظرفاً لفعلِ (التمسوا نوراً)، أي في المكانِ الَّذي خلفكم. وتقديمه على عامله للاهتمام فيكونُ فيه معنى الإغراء بالتماسِ النُّورِ هُناك وهو أشدُّ في الإطماعِ، لأنَّه يوهمُ أنَّ النُّورَ يُتناولُ من ذلك المكانِ الَّذي صدرَ منه المؤمنون، وبذلك الإبهام لا يكونُ الكلامُ كذباً لأنَّه من المعاريض لا سيَّما مع احتمالِ أن يكونَ (وراءكم) تأكيداً لمعنى (ارجعوا) وضميرُ (بينهم) عائدٌ إلى المؤمنين والمُنافقين".

وفي توجيهه لهذه الآية قال الدَّرويش ١٩٠: " ووراءكم ظرفٌ مُتعلِّقٌ بـ ارجعوا، أي: ارجعوا إلى الموقفِ إلى حيثُ أُعطينا هذا النُّور فالتمسوا نوراً آخر، إذ لا سبيلَ لكم إلى هذا النُّور.

* ورود وراء في القرآن الكريم:

السُّورة	الآية	نصُّ الآية	معنى وراء
البقرة	١٠١	نبذ فريق من الَّذين أوتوا كتاب الله وراء ظهورهم	النَّبذ والطَّرح والتَّرك والإعراض
آل عمران	١٨٧	فنبذوه وراء ظهورهم	النَّبذ والطَّرح والتَّرك والإعراض
النِّساء	٢٤	وأُحِلَّ لكم ما وراء ذلكم	سوى أو دون أو غير أو ما عدا
الأنعام	٩٤	وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم	خلف
هود	٧١	فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاقَ يعقوب	بعد وخلف

السُّورة	الآية	نصُّ الآية	معنى وراء
المؤمنون	٧	فمَن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون	سوى أو دون أو غير أو ما عدا
الأحزاب	٥٣	وإذا سألتموهنَّ متاعا فاسألوهنَّ من وراء حجاب	خلف
الشورى	٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب	خلف
الحجرات	٤	إنَّ الَّذينَ يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعلمون	خلف
الحشر	١٤	لا يقاتلونكم جميعا إلاَّ في قرى مُحصَّنةٍ أو من وراءِ جُدُرٍ	خلف
المعارج	٣١	فمَن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون	سوى أو دون أو غير أو ما عدا
الانشقاق	١٠، ١١	وأمَّا مَن أوتيَ كتابَهُ وراء ظهره فسوف يدعو ثُبورا	خلف
هود	٩٢	قال يا قوم أرهطي أعزُّ عليكم من اللهِ واتَّخذتموه وراءكم ظهيرا	النسيان والإعراض والتَّرك
الحديد	١٣	قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا	خلف في الزَّمان والمكان
النِّساء	١٠٢	فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم	خلف

السُّورة	الآية	نصُّ الآية	معنى وراء
البقرة	٩١	ويكفرون بما وراءه	سوى أو دون أو غير أو ما عدا
الكهف	٧٩	وكان وراءهم ملك	أمام – قُدَّام
الإنسان	٢٧	ويذرون وراءهم يوما ثقيلا	قُدَّام – خلف
إبراهيم	١٦	مِن ورائه جُهنَّمَ ويُسقى من ماء صديد	أمام
إبراهيم	١٧	ومِن ورائه عذاب غليظ	أمام
الجاثية	١٠	مِن وراءهم جَهنَّمُ	أمام

الخاتمة

كانت هذه دراسة عن " وراء في الاستعمال القُرآني " دراسة صرفيَّة نحويَّة دلاليَّة. ١٥١

* وقد كشفت الدِّراسةُ عن الاستعمال الـدَّلالي للظَّـرفِ " وراء " في المعـاجم اللُّغويةِ المُختلفةِ والمتنوِّعةِ، حيثُ جاءتَ بالمعاني الآتية:

أ – بمعنى ولد الولد. ب – بمعنى قُدَّام. ج – بمعنى خلف.
د – بمعنى بعد. هـ – بمعنى تأخَّر. و – بمعنى بين يديه.
ز – بمعنى سوى أو أكثر. ح – بمعنى التَّرك والنَّبذ والإعراض.

* بيَّنت الدِّراسة (وراء) في التَّأصيل الصَّرفي من خلال مباحثٍ ثلاث:

أ – همزة وراء عند البصريين وعند الكوفيين.
ب – وراء من حيث التَّذكير والتَّأنيثِ.
ج – تصغير وراء.

* بيَّنت الدِّراسة (وراء) في التَّأصيل النَّحوي من خلالِ مباحثٍ ثلاثة:

أ – تعريف الظَّرفِ عند النُّحاةِ.
ب – بيان المقصود بالمصطلحات النَّحويَّة:
(اسم الزَّمان – اسم المكان – المُبهم من الظُّروفِ – المُختصُّ مـن الظُّروفِ)
ج – شروط ما يُنصب على الظَّرفيَّة من أسماء الزَّمانِ وأسماء المكانِ.

* بيَّنت الدِّراسة موقف النُّحاةِ والمُفسِّرين ومُعربي القُرآن من الاستعمَال الـدَّلالي للظرفِ (وراء) في القُرآن الكريم، وبيَّنت جوانب الاتِّفاقِ وجوانب الاخـتلافِ بينهم.

* كشفت الدِّراسةُ عن الاستعمالِ القُرآنيِ الدِّلالي للظَّرفِ (وراء) حيثُ جاءت بالمعني الآتية

أ – وراء بمعنى النَّبذِ والطَّرحِ والتَّركِ والرَّفضِ والإعراضِ.
ب – بمعنى سوى أو دون أو غير أو ما عدا
ج – بمعنى خلف. د – بمعنى النِّسيان والإعراضِ والتَّركِ.
هـ – بمعنى قُدَّام وأمامٍ.
و – بمعنى الإحاطة والقدرةِ والسَّيطرةِ.
ز – بمعنى العودةِ للخلفِ في الزَّمانِ والمكانِ.

* بيَّنت الدِّراسةُ أنَّ المعنى الأصلي للظرفِ (وراء) هو الخلفُ، وبقيَّة المعاني فرعيَّة يُحدِّدها السِّياقُ اللُّغوي.
* أكَّدت الدِّراسة أنَّ الظَّرفَ (وراء) من الأضداد، وهو ما ذهب إليهِ جمهورُ العُلماء.

وصلَّى اللهُ على سيدِّنا محمَّد وعلى آلهِ وأصحابهِ ومن سار على نهجهِ واتَّبعَ سُنَّتَهُ إلى يومِ الدِّين وعلى الله التُّكلانُ

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.
١– الأصول في النَّحو: لأبي بكر محمَّد بن سهل بن السَّرَّاج النَّحويِّ البغدادي، تحقيق د، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرِّسالة، بيروت لبنان، الطَّبعة الثَّالثة ١٩٨٨م.
٢ – الأضداد: لمحمَّد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، صيدا لبنان، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٣ – إعراب القرآن: المنسوب للزجَّاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري، دار الكُتب الإسلاميَّة، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٤ – إعراب القرآن: لأبي جعفر محمَّد بن إسماعيل النَّحَّاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النَّهضة العربيَّة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨ م.
٥ – إعراب القرآن وبيانه: للأستاذ محيي الدِّين الدَّرويش، اليمامة للطباعة والنَّشر، دمشق بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، دمشق بيروت، الطَّبعة السَّابعة ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م.
٦ – البحر المحيط: لأبي حيَّان الأندلسي (٧٥٤هـ) دار الكتب العلميَّة، لبنان، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م، تحقيق الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشَّيخ علي محمَّد معوَّض، د. زكريا عبد المجيد.
٧ – بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٨ – البُلغة في المُذكَّر والمؤنَّث: لأبي البركات بن الأنباري، حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه د. رمضان عبد التَّواب، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربيَّة المُتحدة، مركز تحقيق التُّراث.
٩ – البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي الركات بن الأنباري (٥١٣هـ ٥٧٧هـ) تحقيق طه عبد المجيد طه، مراجعة مصطفى السَّقَّا، طبعة الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ٢٠٠٦م.

١٠ – تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّازق الحُسيني، أبـو الفـيض، الملقـب بمرتضى الزَّبيدي. تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
١١ – تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: لإسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلـم للملايين، بيروت، الطَّبعة الرَّابعة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
١٢ – التِّبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحُسين العُكبري (٥٣٨هـ ٦١٦م) مكتبة جزيرة الورد، مكتبة الإيمان القاهرة.
١٣– التَّحرير والتَّنوير: لمحمد الطَّاهر بن محمد بن الطَّاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التَّـاريخ العـربي، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م. مصدر الكتاب موقع مكتبة المدينة الرَّقميَّة. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
١٤ – تهذيب اللُّغة: للأزهري: موقع الكتاب: الورَّاق. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
١٥ – جامع البيان في تأويل أي القرآن: لمحمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبي جعفر الطَّبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق. أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسـالة للنَّشـر، الطَّبعـة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م. المكتبة الشَّاملة. موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف.
١٦ – الجامع لأحكام القرآن: للقُرطبي، مصدر الكتاب: موقع يعسوب. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني
١٧ – – الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف بن عبد الدَّائم المعروف بالسَّمين الحلبي، المتوفى سنة (٧٥٦ هـ). المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
١٨ – ديوان زهير بن أبي سلمى: اعتنى به وشرحه حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الثَّانية ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.
١٩ – ديوان عروة بن الورد:كرم البستاني، دار صادر بيروت، لبنان.
٢٠ – ديوان عمرو بن كلثوم: شرح المعلقات للزوزني.
٢١ – ديوان لبيد بن ربيعة: اعتنى به حمدوس طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م
٢٢– ديوان النَّابغة الذُّبياني: تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة، ذخائر العـرب (٥٢) الطَّبعة الثَّانية.
٢٣– شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك: لقاضي القضاة بهاء الدِّين عبد الله بن عقيل العقيلي المصـري الهمداني (٦٨٩ – ٧٩٦هـ) جزءان، نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة، دار مصر للطباعة سـعيد جودة السَّحَّار وشركاه.
٢٤ – شرح قطر النَّدى وبل الصَّدى:. لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ومعه كتاب سبيل الهُـدى بتحقيق شرح قطر النَّدى، تأليف محمد محيي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة صيدا بيروت، الطَّبعة الرَّابعة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٢٥ – شرح شافية ابن الحاجب: للشيخ رضي الدِّين محمَّد بن الحسن الاستراباذي، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي، تحقيق محمَّد نور الحسن، ومحمَّد الزَّفاف، محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان ١٤٠٢هـ ١٩٨٢.
٢٦ – شرح المعلقات السَّبع: للقاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزَّوزني (ت ٤٨٦ هـ)، تقديم عبـد الرَّحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.
٢٧ – شرح المفصَّل:لموفق الدِّين يعيش بن علي بن يعيش، دار الطباعة المنبريَّة بالقاهرة.

٢٨ – العين: لأبي عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السَّامرائي، دار ومكتبة الهلال. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٢٩ – القاموس المحيط: للفيروزآبادي، موقع الكتاب الورَّاق. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٣٠ – الكتاب: لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠ هـ) خمسة أجزاء، تحقيق عبد السَّلام هارون، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ١٩٦٦– ١٩٧٧م.
٣١ – الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري، (ت ٥٢٧ هـ).
٣٢ – لسان العرب: لمحمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري دار صادر، بيروت، لبنان،الطَّبعة الأولى ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م. مصدر الكتاب برنامج المحدَّث المجَّاني، مرفق بالكتاب حواشي اليازجي وجماعة من اللُّغويين.المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٣٣ – مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المُثنَّى التَّميمي (ت ٢١٠ هـ)، عارضه بأصوله وعلَّق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٣٤ – المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمَّد محمَّد بن عبد الحقِّ بن غالب بن عطيَّة الأندلسي (ت ٥٤٣ هـ).تحقيق المجاس العلمي بمكناس، المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٣٥ – المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المُرسي، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكُتب العلميَّة، بيروت لبنان، الطَّبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م.
٣٦ – مختار الصَّحَّاح: لمحمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي،تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطَّبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٣٧ – اللمع في العربيَّة: لأبي الفتح عثمان بن جنِّي الموصلي النَّحوي، تحقيق فائز فايز، دار الكُتب الثَّقافيَّة، الكويت ١٩٧٢م.
٣٨ – المذكَّر والمؤنَّث: للمبرِّد محمد بن يزيد.حقَّقه وقدَّم له. د. رمضان عبد التَّواب، وصلاح هادي، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٧٠م.
٣٩ – المُذكَّر والمؤنَّث:. لأبي بكر بن الأنباري تحقيق محمَّد عبد الخالق عضيمة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة لجنة إحياء التراث بجمهورية مصر العربيَّة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٤٠ – مُشكل إعراب القرآن: لأبي محمَّد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ – ٤٣٧ هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضَّامن، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
٤١ – المصباح المُنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافعي (٧٧٠هـ) لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلميَّة، بيروت، لبنان. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٤٢ – معاني القرآن: لأبي زكريا يحيي بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، الطَّبعة الثَّالثة، ١٩٨٠ م.
٤٣ – معاني القرآن: للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمَّد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٤٤ – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري، مجلدان، تحقيق د. مازن المبارك، وعلي توفيق الحمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطَّبعة الخامسة ١٩٧٩م.

٤٥ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بالقاهرة، مطبعة دار الكتب العلمية ١٣٤٦ هـ
٤٦– المفضليات: لأبي العبَّاس المفضَّل بن محمَّد الضَّبِّي، بقلم ضابطها وشارحها حسن السَّندوبي، المكتبة التُّجاريَّة الكُبرى بالقاهرة، الطَّبعة الأولى ١٣٤٥هـ ١٩٦٢م.
٤٧ – مفاتيح الغيب: للفخر الرَّازي، دار إحياء الكتب العربيَّة، مطبعة بولاق. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٤٨ – المفصَّل في صنعة الإعراب: لأَبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزَّمخشري جار الله، المحقق د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال بيروت لبنان، الطَّبعة الأولى ١٩٩٣م.
٤٩ – المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق محمد سيِّد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
٥٠ – مقاييس اللُّغة: لأبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السَّلام هارون، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، الطَّبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م. المكتبة الشَّاملة الإصدار الثَّاني.
٥١ – المقتضب: لأبي العبَّاس محمد بن يزيد المبرِّد، تحقيق محمَّد عبد الخالق عضيمة، أربعة أجزاء، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة، القاهرة ١٣٨٦ هـ ١٣٩٩ هـ.
٥٢ – منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: للشَّيخ محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، على هامش شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، الطَّبعة العشرون ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة، دار مصر للطباعة سعيد جودة السَّحَّار وشركاه.
٥٣ – النَّحو المُصفَّى: د. محمد عيد، عالم الكتب بالقاهرة، الطَّبعة الثَّانية، ٢٠٠٩م.
٥٤ – النَّحو الوافي: للأستاذ عبَّاس حسن، دار المعارف بالقاهرة، الطَّبعة الخامسة.

الهوامش والإحالات :

[١] العين: ج ٨ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠.
[٢] انظر على التَّرتيب: تهذيب اللُّغة: ج ٥ ص ١٦٢. وتاج العروس من جواهر القاموس: ١ج ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨. ومقاييس اللُّغة:ج ٦ ص ٧٩. والمفردات في غريب القُرآن: ج١ ص ٥٢٠ ، ٥٢١. ولسان العرب: ج ١ ص ١٩٣.
[٣] الأضداد: لمحمد بن القاسم الأنباري: ص ٦٩.
[٤] العين: ٨ج ص ٢٩٩ ، ٣٠٠.
[٥] تاج العروس من جواهر القاموس:ج ١ ص٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨.
[٦] مقاييس اللُّغة:ج ٦ ص ٧٩.
[٧] المفردات:ج ١ ص ٥٢٠ ، ٥٢١.
[٨] المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير:ج ٢ ص ٦٥٦ ، ٧٥٦.
[٩] مختار الصَّحاح:ج ١ – ٧٤٧.
[١٠] ديوان لبيد: ج ١ ص ٢٣. وانظر لسان العرب: ورأ ١ – ١٩٣.
[١١] انظر تاج العروس: ١ – ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨.

[12] الأضداد: ٦٨ ، ٦٩.
[13] هو المُرقّش الأكبر ، المفضّليات: ص ٢٣٩.
[14] هو سوار بن مضرب ؛ كذا نسبه صاحبُ اللسان في ٢٠ – ٢٦٩.
[15] هو لبيد، ديوانه ١ ص ٢٣.
[16] هو عروة بن الورد ، ديوانه ص١٠٢.
[17] انظر على التَّرتيب: تهذيب اللُّغة:ج ٥ ص ١٦٢. وتاج العروس من جواهر القاموس: ج١ ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨. ومقاييس اللُّغة:ج ٦ ص ٧٩. والمفردات في غريب القُرآن:ج ١ ص ٥٢٠ ، ٥٢١. ولسان العرب:ج ١ ص ١٩٣.
والمصباح المنير: ج٢ ص ٦٥٦ ، ٦٥٧.
[18] بصائر ذوي التَّمييز:ج ١ ص ١٥٦٠.
[19] ديوان النَّابغة الذُّبياني ، ذخائر العرب رقم (٥٢) وتمام البيت:
حَلَفْتُ فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ. والرِّيبة: الشَّكُّ. وقوله: وراء الله ، أي ليس بعد يمين الله – عزَّ وجلَّ – للمَرءِ مذهبُ. فينبغي لك أن تصدِّقَه وتقبل أعذاري.
[20] تهذيب اللُّغة: ج٥ ص ١٦٢.
[21] المفردات: ج١ ص ٥٢٠ ، ٥٢١.
[22] بصائر ذوي التَّمييز: ج١ ص ١٥٥٩ ، ١٥٦٠.
[23] تهذيب اللُّغة: ج ٥ ص ١٦٢.
[24] تاج العروس:ج ١ ص ٤٨٨.
[25] المفردات:ج ١ ص ٥٢١.
[26] تهذيب اللُّغة: ج٥ ص ١٦٢.
[27] تهذيب اللُّغة:ج ٥ ص ١٦٢.
[28] ديوان الهُذليين: شعر أبي ذُؤيب وساعدة بن جؤيَّة: ج ١ ص ٩٣.
[29] لسان العرب: ورأ ١ج ص ١٩٣.
[30] المصباح المُنير: ٢ج ص ٦٥٦ ، ٦٥٧.
[31] بصائر ذوي التَّمييز: ج١ ص ١٥٦٠.
[32] بصائر ذوي التَّمييز: ج١ ص ١٥٦٠.
[33] تاج العروس:ج ١ ص ٤٨٦ ، ٤٨٧. وانظر لسان العرب: ورأ ج١ ص ١٩٣.
[34] التِّبيان في إعراب القرآن: ص ٥١.
[35] تهذيب اللُّغة:ج ٥ ص ١٦٢.
[36] انظر تاج العروس: ج ١ ص ٤٨٦ ، ٤٨٧.
[37] انظر المصباح المُنير: ج٢ص ٦٥٦ ، ٦٥٧.

[٣٨] القاموس المحيط: ١ – ٢٦.
[٣٩] التَّذكير والتَّأنيث للفرَّاء: ص ٣٥.
[٤٠] البيت للقطامي من قصيدة في الدِّيوان ص ٤٣. وهو في كتاب الفرَّاءِ ص ٣٥ ، والمُذكَّر والمؤنَّث للمُبرِّدِ ص ١٣٨ ، واللسان (قدم)
[٤١] المُقتضب: ٢ج ص ٢٧٢ ، ٢٧٣.
[٤٢] المُذكَّر والمؤنَّث: للمُبرِّد: ص ١٣٨.
[٤٣] المُذكَّر والمؤنَّث: ج١ ص ٥٠٨ ، ٥٠٩. لأبي البركات ابن الأنباري.
[٤٤] العين: ج ٨ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠.
[٤٥] تهذيب اللُّغة: ٥ – ١٦٢.
[٤٦] تاج العروس: ١ – ٤٨٦.
[٤٧] اللمع في العربيَّة: ص ٢١٨.
[٤٨] القاموس المحيط:ج ١ ص ٢٦.
[٤٩] شرح شافية ابن الحاجب: ج ١ ص ٢٤٤.
[٥٠] شرح قطر النَّدى وبل الصَّدى: ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨. لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ).
[٥١] سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر النَّدى: الهامش رقم (١) من ص ٢٥٦.
[٥٢] الأصول في النَّحو: لأبي بكر محمَّد بن سهل السَّرَّاج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ): ج ١ ص ١٩٧ ، ١٩٨.
[٥٣] شرح قطر النَّدى: ص ٢٥٧ ، ٢٥٨. قالَ الشَّيخُ محيي الدِّين مُعلِّقاً على قولِ ابن هشم السَّابق: " يتعيَّنُ في المأخوذِ من غيرِ عاملهِ ، وفيما عدا الأنواع الثَّلاثة من أسماءِ المكانِ: أن يُجرَّ بحرفِ جرٍّ يدلُّ على الظَّرفيَّةِ – مثل في والباء – فتقول: جلسْتُ في مذهبِ عمرو ، وصليْتُ بالمسجدِ ، ونمتُ في الدَّارِ ، ولا يُسمَّى ظرفاً ، وإن سُمِّيَ اسمَ مكانٍ كما تقدَّم التَّنبيه على ذلك " هامش رقم (٢) ص ٢٥٨ من شرح قطر النَّدى.
[٥٤] سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر النَّدى: الهامش رقم (٢) من ص ٢٥٧.
[٥٥] المفصَّل: ج ١ ص ٨١.
[٥٦] النَّحو المُصفَّى: ٣٤٦.
[٥٧] النَّحو المُصفَّى: ٣٤٧.
[٥٨] النَّحو المُصفَّى: ٣٤٨.
[٥٩] النَّحو الوافي: ٣ – ١٤١.
[٦٠] وكثير من ظروفِ الغايات (مثل: قبل وبعد) يدخلُ في عداد الأسماءِ المُبهمةِ الَّتي لا تقعُ نعتاً ولا منعوتاً.
[٦١] شرح المفصَّل: ج ٤ ص ٨٥. لا بن يعيش.

[٦٢] انظر تعليقه على كلام ابن يعيش في الهامش رقم (١) من الجزءِ الثّالث من النّحو الوافي صفحة ١٤١.
[٦٣] النّحو الوافي: ٣ – ١٤٢ ، هامش رقم (١).
[٦٤] النّحو الوافي: ٣ – ١٤٢ ، هامش رقم (٥).
[٦٥] انظر المصادر الآتية: مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المُثنّى التّميمي: ج١ ص ٤٨.. جامع البيان: للطبري ٢ج ص ٤٠٤ ، إعراب القرآن: للزّجّاج:ج ١ ص ١٦٠ ، إعراب القرآن: للنّحّاس: ج١ ص ٥٢١ ، والكشّاف: للزّمخشري: ١ج ص ١٩٧ ، المحرّر الوجيز: لابن عطيّة: ١ج ص ١٦٨ ، مفاتيح الغيب: للفخر الرّازي: ١ج ص ٥٢٥ ، التّبيان: للعُكبريّ: ٥١ ، ٥٢ ، الجامع: للقرطبي: ج٢ ص ٤٠ ، ٤١ ، البحر المحيط: لأبي حيّان الأندلسي:ج ١ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، الدُّر المصون: للسّمين الحلبي: ج ١ ص ١٤٧ ، ١٤٨. إعراب القرآن وبيانه: للشيخ محيي الدّين الدّرويش:ج ١ – ١٤٧ ، ١٤٨. مجاز القرآن: لأبي عبيدة.
[٦٦] لم أجد البيت في القسم المطبوع من ديوانه وهو في الطّبري ج ١ ص ٣٣٣ ، والقرطبي ج ٢ ص ٤٠.
[٦٧] مجاز القرآن:: ١ – ٤٨.
[٦٨] جامع البيان: ج ٢ ص ٤٠٤.
[٦٩] إعراب القرآن: ج ١ ص ٥٢١.
[٧٠] الكشّاف: ج ١ ص ١٩٧.
[٧١] المحرّر الوجيز: ج ١ ص ١٦٨.
[٧٢] البيت للفرزدق يُخاطبُ تميم بن زيد القيني وكان على السِّند. عن النّقائض ص ٣٨١ ، طبع أوربا.
[٧٣] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٥٢٥.
[٧٤] الجامع: ج ٢ ص ٤٠ ، ٤١.
[٧٥] البحر المحيط: ج ١ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤.
[٧٦] التّحرير والتّنوير:
[٧٧] التّبيان في إعراب القرآن: ص ٥١.
[٧٨] المحرّر الوجيز: ج ١ ص ١٦٨.
[٧٩] البحر المحيط: ج ١ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤.
[٨٠] الدُّر المصون: ج ١ ص ١٤٧ ، ١٤٨.
[٨١] إعراب القرآن وبيانه: ج ١ ص ١٤٧ ، ١٤٨.
[٨٢] انظر المصادر الآتية: جامع البيان: ٢ – ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٧ – ٤٥٩. إعراب القرآن للزّجّاج: ١ – ١٨. إعراب القرآن لابن سيدة: ٣ – ٢٠٧. الكشّاف: ١ – ٤٧٨. المحرّر الوجيز:

١ – ٥٨٨. مفاتيح الغيب: ١ – ١٣٢٧. الجامع: ٤ – ٣٠٤ ، ٣٠٥. التَّحرير والتَّنوير: ٤ – ١٩٢.إعراب القرآن وبيانه للدَّرويش: ٤ – ٥٩١.

[٨٣] انظر: مجاز القرآن: ج١ ص ١٢٣. معاني القرآن للفرَّاء: ج ١ ص ٢٦١. جامع البيان:ج ٨ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣. مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي:ج ١ ص ١٩٥. إعراب القرآن لابن سيده:ج ٣ ص ٢٥٧. المحرَّر الوجيز:ج ٢ ص ٤٢ ، ٤٣. مفاتيح الغيب:ج ١ ص ١٤١٤ ، ١٤١٦. التِّبيان: ١٧٥. البحر المحيط:ج ٣ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤. الدُّر المصون:ج ١ – ١٦٨٤. التَّحرير والتَّنوير: ج ٥ ص ٨. إعراب القرآن وبيانه:ج ٢ ص ٦.

[٨٤] مجاز القُرآن: ج ١ ص ١٢٣.

[٨٥] معاني القُرآن: ج ١ ص ٢٦١.

[٨٦] جامع البيان: ج ٨ ص ١٧١.

[٨٧] المحرَّر الوجيز: ج ٢ ص ٤٢ ، ٤٣.

[٨٨] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ١٤١٤ ، ١٤١٦.

[٨٩] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ١٤١٦.

[٩٠] التَّحرير والتَّنوير: ج ٥ ص ٨.

[٩١] جامع البيان: ج ٨ ص ١٧١.

[٩٢] مشكل إعراب القُرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي: ج ١ ص ١٩٥.

[٩٣] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ١٤١٤ ، ١٤١٦.

[٩٤] التِّبيان: ١٧٥.

[٩٥] البحر المحيط: ج ٣ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤.

[٩٦] إعراب القرآن وبيانه: ج ٢ ص ٦.

[٩٧] انظر المصادر الآتية: جامع البيان:ج ١١ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦. الكشَّاف:ج ٢ ص ٤٥. المحرَّر الوجيز:ج ٢ ص ٣٨٢. مفاتيح الغيب:ج ١ ص ١٨٣٧. الجامع: ج ٧ ص ٤٣. البحر المحيط:ج ٤ ص ١٨٦. الدُّر المصون:ج ١ ص ٢٤٨٨ ، ٢٤٨٩. التَّحرير والتَّنوير:ج ٧ ص ٣٨٣. إعراب القرآن وبيانه: ج ٧ ص ٤١٣.

[٩٨] جامع البيان: ج ١١ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦.

[٩٩] لامية أبي النجم في كتاب (الطرائف)، والمراجع هناك، وسيأتي في التفسير ٢٣: ١٢٧ (بولاق)، وهو مطلع رجزه، وقبله: الَحْمُد لِله الوَهُوب المُجْزِلُ وقوله: "كوم الذرى"، أي: عظام الأسمنة، "كوم" جمع"كوماء"، وهي الناقة العظيمة السنام. و"المخول" بكسر الواو، الله الرَّزَّاق ذو القوة المتين. وانظر تعليقي – المحقق – على البيت في طبقات فحول الشعراء: ٥٧٦، تعليق: ٤.نقلا عن المحقق.

[١٠٠] ديوانه" ١١٢، واللسان (خبل) (خول)

ورواية غير أبي عمرو بن العلاء: "إن يستخبلوا المال يخبلوا"، يقال: "استخبل الرجل ناقة فأخبله"، إذا استعاره ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها فأعاره. و"الاستخوال" مثله. وروى الأصمعي عن أبي عمرو أنه قال: "ولو أنشدتها لأنشدتها: إن يستخولوا المال يخولوا"، وقال: "الاختبال: المنيحة، ولا أعرف الاستخبال، وأراه: يستخولوا. والاستخوال أن يملكوهم إياه".

[101] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ١٨٣٧.
[102] الجامع: ج ٧ ص ٤٣.
[103] البحر المحيط: ج ٤ ص ١٨٦.
[104] التَّحرير والتَّنوير: ج ٧ ص ٣٨٣.
[105] الدُّر المصون: ج ١ ص ٢٤٨٨ ، ٢٤٨٩.
[106] التَّحرير والتَّنوير: ج ٧ ص ٣٨٣.
[107] إعراب القرآن وبيانه: ج ٧ ص ٤١٣.
[108] انظر: جامع البيان: ٢٣ – ٢٩١ ، ٢٩٢. الكشَّاف: ٤ – ٥٠٦. المحرَّر الوجيز: ٥ – ٢٦٣. مفاتيح الغيب: ١ – ٤٤٤٥. الجامع: ١٨ – ٣٥. البحر المحيط: ٨ – ٢٤٧. الدُّر المصون: ١ – ٥٤٤٣. التَّحرير والتَّنوير: ٢٨ – ١٠٥. إعراب القرآن وبيانه: ٢٨ – ٤٨٤.
[109] انظر: معاني القرآن للفرَّاء:ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣. جامع البيان: ج ١٥ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥. إعراب القرآن للزَّجاج:ج ١ ص ١٥٤. إعراب القرآن للنَّحَّاس:ج ٣ ص ٣٦٤. مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي:ج ٥ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥. المحرَّر الوجيز: ج ٣ ص ٢٠٤. مفاتيح الغيب:ج ١ ص ٢٤٦٠ ، ١ ص ٣٧٧٥. الجامع:ج ٩ ص ٦٩. التِّبيان: ٤٢. البحر المحيط: ج ٥ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤. الدُّر المصون:ج ١ ص ٣٣٥٧. التَّحرير والتَّنوير:ج ١٢ ص ١٢٠. إعراب القرآن وبيانه:ج ١٢ ص ٤٥٩.
[110] معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣.
[111] جامع البيان: ج ١٥ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥.
[112] التَّحرير والتَّنوير: ج ١٢ ص ١٢٠.
[113] المحرَّر الوجيز: ج ٣ ص ٢٠٤.
[114] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٢٤٦٠.
[115] البحر المحيط: ج ٥ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤.
[116] هو جرير والبيتان من قصيدةٍ في ديوانهِ يهجو فيها الأخطل. وبين البيت الأوَّل والثَّاني بيت في الدِّيوان ٢٤٢ وهو:
أو مثل آل زهير والقناقيض والخيل في رهج منها وإعصار.

وقد ورد البيت الأوَّل في الكتاب لسيبويه ١ – ٤٨.

[١١٧] معاني القرآن: ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٣.

[١١٨] ديوانه: ٣١٢، ٣١٣، ونقائض جرير والأخطل: ١٤٤، وسيبويه ج ١ ص ٤٨، ٨٦.

[١١٩] " الصفة " يعني حرف الجر، كما سلف مرارًا، انظر فهارس المصطلحات.

[١٢٠] جامع البيان: ج ١٥ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥.

[١٢١] إعراب القرآن وبيانه: ج ١٢ ص ٤٥٩.

[١٢٢] انظر: جامع البيان:ج ١٥ ص ٤٥٩. إعراب القرآن للنَّحَّاس: ٣ج ص ٣٧٦ ، ٣٧٧. الكشَّاف:ج ٢ ص ٣٩٩. المحرَّر الوجيز:ج ٣ ص ٢١٧. مفاتيح الغيب:ج ١ ص ٢٤٧٣. التِّبيان: ٣٣٤. الجامع:ج ٩ ص ٩١ ، ٩٢. البحر المحيط:ج ٥ ص ٢٥٦. الدُّر المصون:ج ١ ص ٣٣٧٧. التَّحرير والتَّنوير:ج ١٢ ص ١٥١. إعراب القرآن وبيانه:ج ١٢ ص ٤٧٥.

[١٢٣] انظر تفسير " نبذه وراء ظهره " فيما سلف: ج١ ص٤٠٣، ٤٠٤، ج ٧ص ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٣.

[١٢٤] هو أرطاة بن سهية المري.

[١٢٥] مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ ج ص٢٩٨، واللسان (ظهر)، وكان أرطاة يهاجي شبيب بن البرصاء، وهما جميعًا من بني مرة بن سعد بن ذبيان، والهجاء بينهما كثير، وهذا منه. انظر الأغاني ١٣: ٢٩ – ٤٤ (دار الكتب) ترجمة أرطاة بن سهية = والأغاني ١٢: ٢٧١ – ٢٨١ (ساسي) ترجمة شبيب بن البرصاء. وصدر البيت: * فَمَنْ مُبْلِغٌ أبْنَاءَ مُرَّة أنَّنَا * نقلا عن محقق (جامع البيان).

[١٢٦] الكشَّاف: ج ٢ ص ٣٩٩.

[١٢٧] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٢٤٧٣.

[١٢٨] التِّبيان: ٣٣٤.

[١٢٩] الجامع: ج ٩ ص ٩١ ، ٩٢.

[١٣٠] البحر المحيط: ج ٥ ص ٢٥٦.

[١٣١] التَّحرير والتَّنوير: ج ١٢ ص ١٥١.

[١٣٢] انظر: مجاز القُرآن: ج١ ص ٤١٢. جامع البيان:ج ١٨ ص ٨٣ ، ٨٤. إعراب القرآن للنَّحَّاس:ج ٤ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧. الكشَّاف: ج٢ ص ٢٩١. المحرَّر الوجيز:ج ٣ ص ٥٦٤ ، ٥٦٥. مفاتيح الغيب: ج١ ص ٢٩٣٩. الجامع: ج١١ ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦. البحر المحيط:ج ٦ ص ١٤٥ ، ١٤٦. الدُّر المصون: ج١ ص ٣٩٤٥ ، ٣٩٤٦. التَّحرير والتَّنوير:ج ١٦ ص ١١ ، ١٢. إعراب القرآن وبيانه: ج ١٦ ص ٥٣٠.

[١٣٣] البيت لسوار بن المضرب من كلمة في الكامل ص ٢٨٩.

[١٣٤] مجاز القُرآن: ج ١ ص ٤١٢، وانظر ص ٣٣٧.
[١٣٥] جامع البيان: ج ١٨ ص ٨٣ ، ٨٤.
[١٣٦] البيت لسوار بن المضرب (اللسان: ورى). وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن: ١: ٤١٢) قال في تفسير قوله تعالى: (وكان وراءهم ملك): أي من بين أبيديهم وأمامهم. قال: " أترجو بنو مروان... البيت ": أي أمامي. أ هـ. وفي (اللسان: ورى): وقوله عز وجل: (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم. قال ابن بري: ومثله قول سوار بن المضرب: " أيرجو بنو مروان... البيت ". نقلا عن حقق (جامع البيان) ج ١٨ ص ٨٣ ، ٨٤.
[١٣٧] إعراب القرآن للنحَّاس: ج ص ٤ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧.
[١٣٨] الكشَّاف: ج ٢ ص ٢٩١.
[١٣٩] المحرَّر الوجيز: ج ٣ ص ٥٦٤ ، ٥٦٥.
[١٤٠] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٣٩٤٥ ، ٣٩٤٦.
[١٤١] الجامع: ج ١١ ص ٣٤ ، ٣٥.
[١٤٢] المحرَّر الوجيز: ج ٣ ص ٥٦٤ ، ٥٦٥.
[١٤٣] البحر المحيط: ج ٦ ص ١٤٥ ، ١٤٦.
[١٤٤] الدُّر المصون: ج ١ ص ٣٩٤٥ ، ٣٩٤٦.
[١٤٥] انظر: مجاز القرآن: ١ج ص ٣٣٧. جامع البيان: ج١٦ ص ٥٤٦ ، ٥٤٦. الكشَّاف:ج ٢ ص ٥٣. المحرَّر الوجيز:ج ٣ ص ٣٣١ ، ٣٣٢. مفاتيح الغيب: ج١ ص ٢٦٢٩. الجامع:ج ٩ ص ٣٥٠ ، ٣٥١. البحر المحيط:ج ٥ ص ٤٠١ ، ٤٠٢. الدُّر المصون: ج١ ص ٣٥٩٩ ، ٣٥٦٠. التَّحرير والتَّنوير: ج١٣ ص ٢١٠. إعراب القرآن وبيانه: ج١٣ ص ١٣٥.
[١٤٦] مجاز القُرآن: ج ص ٣٣٧.
[١٤٧] جامع البيان: ج ١٦ – ٥٤٦ ، ٥٤٧.
[١٤٨] ديوان جرير: ٥٧٧ ، والنَّقائض ٣١٦ ، ومجاز القرآن: ج ١ ص ٣٣٧. والأضداد: لابن الأنباري: ٥٨.
[١٤٩] البيت لهدبة بن خشرم العُذري. انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨.
[١٥٠] الكشَّاف: ج ٢ ص ٥٣.
[١٥١] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٢٦٢٩.
[١٥٢] الدُّر المصون: ج ١ ص ٣٥٩٩.
[١٥٣] التَّحرير والتَّنوير: ج ١٣ ص ٢١٠.
[١٥٤] إعراب القرآن وبيانه ج ١٣ ص ١٣٥.
[١٥٥] جامع البيان: ج ١٦ ص ٥٤٦ ، ٥٤٧.

[156] الكشَّاف: ج ٢ ص ٥٣.
[157] الدُّر المصون: ج ١ ص ٣٥٩٩ ، ٣٥٦٠.
[158] انظر: جامع البيان:ج ٢٤ ص ١١٧. مُشكل إعراب القرآن:ج ٢ ص ٧٨٨. الكشَّاف:ج٤ ص ٦٧٥. المحرَّر الوجيز:ج ٥ ص ٣٨٧. مفاتيح الغيب:ج ١ ص ٤٦٢٠. الجامع: ١٦ج ص ١٥٠ ، ١٥١. البحر المحيط: ج٨ ص ٣٩٣. الدُّر المصون: ١ج ص ٥٧١٦. التَّحرير والتَّنوير:ج ٢٩ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩. إعراب القرآن وبيانه: ٢٩ج ص ١٧٣.
[159] جامع البيان: ج ٢٤ ص ١١٧.
[160] مشكل إعراب القرآن: ج ٢ ص ٧٨٨.
[161] الكشَّاف: ج ٤ ص ٦٧٥.
[162] المحرَّر الوجيز: ج ٥ ص ٣٨٧.
[163] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٤٦٢٠.
[164] الجامع: ج ١٦ ص ١٥٠ ، ١٥١.
[165] الدُّر المصون: ج ١ ص ٥٧١٦.
[166] التَّحرير والتَّنوير: ج ٢٩ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩.
[167] إعراب القرآن وبيانه: ج ٢٩ ص ١٧٣.
[168] انظر: جامع البيان:ج ٢٤ ص ٣٤٧. الكشَّاف:ج ٤ ص ٧٣٤. المحرَّر الوجيز:ج ٥ ص ٤٣٥. مفاتيح الغيب:ج ١ ص ٤٧١٦. الجامع:ج ١٩ ص ٢٩٨. البحر المحيط: ٨ج ص ٤٤٥. التَّحرير والتَّنوير:ج٣٠ص ٢٥٢.إعراب القرآن وبيانه: ج٣٠ ص ٢٧٣.
[169] جامع البيان: ج ٢٤ ص ٣٤٧.
[170] الكشَّاف: ج ٤ ص ٧٣٤.
[171] المحرَّر الوجيز: ج ٥ ص ٤٣٥.
[172] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٤٧١٦.
[173] الجامع: ج ١٩ ص ٢٩٨.
[174] البحر المحيط: ج ٨ ص ٤٤٥.
[175] التَّحرير والتَّنوير: ج ٣٠ ص ٢٥٢.
[176] التَّحرير والتَّنوير ج ج ٣٠ ص ٢٥٢.
[177] إعراب القرآن وبيانه: ج ٣٠ ص ٢٧٣.
[178] انظر: جامع البيان:ج ٢٣ ص ١٨٠ ، ١٨١. إعراب القرآن لابن سيده: ٨ج ص ١٠٧. الكشَّاف:ج ٤ ص ٤٧٤. المحرَّر الوجيز:ج ٥ ص ٢٣٧. مفاتيح الغيب:ج ١ ص ٤٤٠٦. التِّبيان: ٥٤٥. الجامع: ١٧ج ص ٢٤٦. البحر المحيط:ج ٨ ص ٢٢٠. التَّحرير والتَّنوير: ج ٢٧ ص ٣٨٣. إعراب القرآن وبيانه: ٢٧ – ٣٨٣.
[179] جامع البيان: ج ٢٣ ص ١٨٠ ، ١٨١.

[١٨٠] الكشَّاف: ج ٤ ص ٤٧٤.
[١٨١] المحرَّر الوجيز: ج ٥ ص ٢٣٧.
[١٨٢] مفاتيح الغيب: ج ١ ص ٤٤٠٦.
[١٨٣] انظر: الجامع: ج ١٧ ص ٢٤٦. والبحر المحيط: ج ٨ ص ٢٢٠.
[١٨٤] جامع البيان: ج ٢٣ ص ١٨٠ ، ١٨١.
[١٨٥] ديوانه ص ٧١. وهذا البيت من معلقته (انظره في شرحي الزوزني والتبريزي)، يخاطب عمرو بن هند مالك الحيرة. وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن. قال عند قوله تعالى "للذين آمنوا انظرونا": وقرأها يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة: "أنظرونا" من أنظرت. وسائر القراء على (انظرونا) بتخفيف الألف. ومعنى (انظرونا): انتظرونا. ومعنى "أنظرونا": أخرونا، كما قال: "أنظرني إلى يوم يبعثون". وقد تقول العرب "أنظرني"، وهم يريدون انتظروني، تقوية لقراءة يحيى. قال الشاعر: "أبا هند... البيت"، فمعنى هذه: انتظرنا قليلا نخبرك، لأنه ليس هاهنا تأخير، إنما هو استماع، كقولك للرجل: اسمع مني حتى أخبرك. ا هـ. وفي (اللسان: نظر) والنظر: الانتظار. يقال: نظرت فلانا وانتظرته: بمعنى واحد فإذا قلت: انتظرت، فلم يجاوزك فعلك، فمعناه: وقفت وتمهلت. ومنه قوله تعالى "انظرونا نقتبس من نوركم" قرئ انظرونا وأنظرونا بقطع الألف. فمن قرأ "انظرونا" بضم الألف، فمعناه: انتظرونا. ومن قرأ "أنظرونا" فمعناه: أخرونا. وقال الزجاج" قيل معنى "أنظرونا" انتظرونا أيضا. ومنه قول عمرو بن كلثوم: "أبا هند... البيت". ا هـ.نقلا عن محقق جامع البيان.
[١٨٦] إعراب القرآن: ج ٨ ص ١٠٧.
[١٨٧] البحر المحيط: ج ٨ ص ٢٢٠.
[١٨٨] التِّبيان: ص ٥٤٥.
[١٨٩] التَّحرير والتَّنوير:
[١٩٠] إعراب القرآن وبيانه: ج ٢٧ ص ٣٨٣.